موسوعة العقيدة والأديان

علاء الحضري



٦

الرهبانية المسيحيّة ومَوقف الإسلام منها

د. أحمد علي عجيبة

أستاذ العقيدة والأديان

دار الآفاق العربية

الرهبانية المسيحية
وموقف الإسلام منها

هذا الكتاب يعالج موضوع الرهبانية من جوانبه المتعددة.

تحدث فيه المؤلف عن تعريف الرهبانية والديرية، وعن أصل وبداية النظم النسكية فى الديانات الهندية (البراهمانية - البوذية - والجينية) وأسبابها.

ثم يبين المؤلف بعض الظواهر النسكية فى الديانة المصرية القديمة، وعند بعض الجماعات اليهودية، وفى الفلسفة الأفلاطونية الحديثة.

ويركز هذا الكتاب على هذا الموضوع فى الديانة المسيحية، مبينا أصل إطلاق لقب (مسيحية) ومن هو مؤسس المسيحية الحقيقى.

كما تحدث المؤلف عن نشأة الرهبانية المسيحية، ومظاهرها (التوحدى، الديرى) وأسبابها، ومؤسسيها، وكيف أن المسيحيين تأثروا فيها بالنظم النسكية الأخرى.

ويؤكد المؤلف على أنه لا رهبانية فى الإسلام، حيث إن الإسلام دين عمل، وعبادة، دين وسطية واعتدال، ودين توازن بين المادة والروح دون إفراط أو تفريط.

وكفى بربك هاديا ونصيرا

I.S.B.N. 977 - 344 - 091 - 5

موسوعة العقيدة والأديان

٦

الرهبانية المسيحية ومـوقـف الإسلام منها

د. أحمد علي عجيبة
أستاذ العقيدة والأديان



دار الآفاق العربية

نشـــر ـ توزيـــع ـ طـــباعة

55 ـ ش محمـــود طلعت ـ من ش الطـــيران

مدينـــة نصـــر ـ القـــاهـــرة

تليفون : ٢٦١٧٢٣٩ ـ تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤

E-mail : daralafk@hotmail.com

اسم الكتـاب : الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها

اسم المؤلـف : د. أحمد علي عجيبة

رقـم الإيـداع : ٢٠٠٤/١١٥٢٨

الترقيم الدولى : 5 - 091 - 344 - 977

الطـبعـة الأولـــى

٢٠٠٤م



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧-٨٨]

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فإن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان أفضل تكريم، كرمه، وميزه، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء :٧٠] .

ومنزلته الرفيعة تظهر من كونه خليفة لله في الأرض تلك المنزلة التى اشرأبت إليها أعناق الملائكة وتشوفت إليها أنظارهم.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :٣٠] .

ومن أجل هذا سخر الله سبحانه وتعالى الأرض للإنسان، ومهدها له، وبسطها من أجله، وهيأها لسعيه، وجعلها له ذلولا، ليمشى في مناكبها، وينتفع بأنعمها، ويسعى في جوانبها، مبتغيا في ذلك فضل الله، ليقيم سنته، ويظهر عجائب صنعه، وأسرار خليقته، وبدائع حكمه، ومنافع أحكامه.

وحتى تستقيم له تلك الخلافة منحه الله العقل والإرادة، وأرسل له الرسل، وأنزل الكتب فضلا منه ونعمة.

«ولن يتم هذا الاستخلاف إلا إذا بقى النوع واستمرت حياته على الأرض يزرع ويحصد ويصنع، ويبنى ويعمر، يؤدى حق الله عليه، ولكي يتم ذلك ركب الله في الإنسان مجموعة من الغرائز النفسية تسوق بسلطانها إلى ما يضمن بقاءه فردا، وبقاءه نوعا. وكان من هذا غريزة البحث عن الطعام التي بإشباعها يبقى شخصه»[(١)].

ولم يتركنا الله سبحانه وتعالى مع هذه الغرائز بدون ضوابط أو قيود، وإنما حد لنا حدودا وشرع لنا شرائع على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيان الحلال والحرام الذي به تتسق الحياة، وتنتظم حياة الأفراد والكون.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «وكما أعطاه الله تعالى هذه المواهب والأحكام الطبيعية ليظهر بها أسرار خليقته، وملكه الأرض، وسخر له عوالمها، أعطاه أحكام وشرائع حد فيها لأعماله وأخلاقه حدا يحول دون بغى أفراده وطوائفه بعضهم على بعض، فهى تساعده على بلوغ كماله»[(٢)].

فالتحريم والتحليل تشريع وهو من حق الربوبية، فمن انتحله لنفسه كان مدعيا للربوبية أو كالمدعى لها، ومن اتبع في ذلك فقد اتخذ ربا [(٣)].

ولذلك نعى القرآن الكريم على اليهود والنصارى حيث وضعوا سلطة التحليل والتحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم.

قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة :٣١]

روى الترمذي وحسنه عن عدى بن حاتم - رضي الله عنه - قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب - حيث إنه كان يدين بالنصرانية قبل

---

(١) د. يوسف القرضاوى: الحلال والحرام في الإسلام ص ١٤٤، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٦٩م.

(٢) تفسير المنار جـ١ ص ٢١٧، طبعة الهيئة العامة للكتاب.

(٣) المرجع السابق جـ٧ ص ٢٥.

اعتناقه الإسلام- فقال: يا عدي.. اطرح عنك هذا الوثن. وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣١] ... ثم قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه» (١).

وفي رواية أخرى: «أن عدى بن حاتم حين سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية قال يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم. فقال ﷺ: بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم».

كما نعى القرآن الكريم على المشركين الذين افتروا على الله وحرموا وحللوا بغير الله وإذنه.

قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس :٥٩] .

وقال سبحانه:

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل :١١٦] .

فالإنسانية حين انحرفت عن شرع الله ووحيه ضلت الطريق وحادت عن الصراط المستقيم، ووضعت مبادئ وقوانين للغرائز الإنسانية تتفق وأهواء البشر، سواء في ذلك من انحرف من أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، وحرم على نفسه طيبات الله، أو من ضل من الوثنيين والمشركين ونادى بالإباحية المطلقة وأطلق لشهواته وغرائزه العنان بدون حد أو قيد.

وسوف نكتفي في هذه الدراسة ببيان الجانب الأول وذلك حيث نزعت

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (الجزء الخامس) (كتاب تفسير القرآن) (الباب العاشر ص ٢٧٨)، حديث رقم ٣٠٩٥، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية، ط. الحلبى سنة ١٩٧٥م.

بعض الطوائف في المسيحية وغيرها من الأديان الوضعية الأخرى إلى تحريم طيبات الله وتعذيب النفس، واحتقارها، وحرمانها من أنعم الله، مدعين بأنهم يفعلون هذا تقربا إلى الله.

فهم قد عنوا بالتقشف والتبتل وحرموا على أنفسهم الطيبات، وعطلوا القوى الإنسانية، وادعوا أن التقرب إلى الله محصور في تعذيب النفس وترك حظوظ الجسد، وهذا هو ما يسمى بالرهبانية وقد رأينا أن نعالج هذه القضية من جوانبها المتعددة، مبينين موقف الإسلام منها خاصة وأننا لم نجد - حسب علمنا - أن أحدا من المسلمين قد عنى بها وأفرد لها كتابا أو بحثا مستقلا.

هذا وقد التزمنا في هذه المعالجة بالمنهج القرآني وبوصاية الله لنا:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل :١٢٥] .

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت :٤٦]

«وبالله التوفيق»

«وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»

* * *

التمهيد

معنى الرهبنة

معنى الرهبنة

لقد تعرض المسيحيون في القرون الأولى لألوان من الاضطهاد والتعذيب على أيدي اليهود، والرومان.

وحين اعتلى (قسطنطين) (٣٠٦- ٣٣٧م) عرشَ الإمبراطورية الرومانية أظهر تعاطفا شديدا تجاه المسيحيين، وغير وجه السلطة الرومانية إزاء هؤلاء، فبعد أن كانت تنظر إليهم على أنهم مارقون، وتنفر منهم وتقاومهم أينما وجدوا، وتألب الشعب الروماني عليهم أينما ثقفوا. أصبحت تبدى لهم عطفا، وتصدر قرارات التسامح الديني لهم، وتحرص على ولائهم والتقرب إليهم.

وفي هذه الأثناء اعترف قسطنطين لأول مرة بالديانة المسيحية، ولذلك بدأ نفوذ هذه الديانة يزداد تدريجيا.

وفي وسط هذه الظروف نشأت حركة دينية كانت في أول أمرها مستقلة عن الكنيسة، ولكنها لم تلبث أن أصبحت جزءا أساسيا من النظام الكنسي المسيحي، وهى «حركة الرهبنة والديرية».

والرهبنة أسلوب من الأساليب التى استخدمها بعض المسيحيين في التعبير عن إيمانهم بالمسيحية.

ويذكر المسيحيون أن الرهبنة كان لها أكبر الأثر في تاريخهم وفي تفكيرهم وسلوكهم.

ولذلك أردنا أن نعرض لهذه الحركة لبيان نشأتها وتطورها، ومبادئها، وأصلها، وموقف الإسلام منها.

* * *

معنى الرهبنة:

الرهبنة أصلها من الرهبة أي الخوف، يقال: رهب يرهب رهبة أي خاف.

والراهب هو المتعبد في صومعة من النصارى، يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهدا فيها، معتزلا أهلها. ومصدره الرهبة، والرهبانية.

والرهبانية منسوبة إلى الرهبنة بزيادة الألف، وهى كالاختصاء، واعتناق السلاسل، ولبس المسوح وترك اللحم وما أشبه ذلك مما كانت الرهبانية تتكلفه.

قال ابن الأثير: هي من رهبنة النصارى، قال: وأصلها من الرهبة أي الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيب[(١)].

فمدلول الكلمة يعني الخوف والرهبة، وهى أطلقت على النصارى وقصد بها عيشة الفرد عيشة انعزالية في خلوة كاملة، تاركا أشغال الدنيا وزاهدا فيها، متكلفا في ترك ملاذ الدنيا وطيباتها، متعمدا في تعذيب النفس والجسد.

الرهبنة في اصطلاح النصارى

الرهبنة عند النصارى لا تخرج عن المعاني السابقة غير أنهم أضافوا أن المقصود من التعذيب الذي يقوم به الراهب العبادة، والطاعة.

يقول د. حكيم أمين: (المقصود بالرهبانية طريقة المعيشة المنعزلة عن الناس في خلوة فردية تامة بقصد العبادة) [(٢)].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ص ١٧٤٨ - ١٧٤٩، ط دار المعارف سنة ١٩٧٩م، راجع أيضا: المعجم الوسيط جـ ١ ص ٣٧٦، القاموس المحيط جـ ١ ص ٧٩ الطبعة الثانية ط. الحلبى، سنة ١٩٥٢م.

(٢) د. / حكيم أمين: دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية ص ١ ط القاهرة سنة ١٩٦٣م.

ويضيف د. رءوف حبيب أن الزهد والتنسك واختيار الفقر طوعا من معاني الرهبنة، فيقول: (الرهبنة معناها: الزهد والتنسك - والانعزال والانفراد بقصد التبتل والعبادة مع اختيار الفقر طوعا)(١).

وجاء في كتاب (تاريخ الأمة القبطية): الرهبنة هي نذر التبتل إلى الله مع اختيار الفقر طوعا واعتزال العالم للتعبد (٢).

ويرتبط بالرهبنة ما يسمى بـ (الديرية).

والديرية نسبة إلى الدير: «) وهو البيت أو الموضع الذي يخصص لسكنى الرهبان أو الراهبات والالتجاء إليه للتعبد(٣).

والديرية: «) هي التقاء جماعات من الرهبان واجتماعهم في مكان بعيد عن العمران والانقطاع فيه للعبادة مع تنظيم شئونهم من حيث العبادة وتحقيق مطالبهم الضرورية في الحياة(٤).

* * *

(١) د. / رءوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم ص ٢٣ مكتبة المحبة.
(٢) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية جـ٢ ص ٩٥ الطبعة الثانية سنة ١٩٢٢م.
(٣) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٢٣.
(٤) د. / إبراهيم العدوى: المجتمع الأوربي في العصور الوسطى ص ٧١ مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٨٠م.

الفصل الأول

الرهبانية قبل المسيحية

الرهبانية قبل المسيحية

لم تكن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي انفردت بالدعوة إلى الرهبانية والمبادئ النسكية.

ففي الديانات السابقة للمسيحية جماعات وطوائف كرست نفسها لحياة انعزالية أو نسكية على درجات متفاوتة من القسوة البدنية.

فلقد كان الزهد في الحياة عن طريق الابتعاد عن المغريات وكبت العواطف وإيلام النفس، وتعريض الجسم للأذى، والانعزال في الأماكن النائية من الظواهر المألوفة في التاريخ قبل ظهور المسيحية.

فهناك أناس بين الشعوب القديمة في الهند ومصر وشعوب آسيا الغربية تنسكوا وابتعدوا عن مغريات الدنيا [١].

وسوف نتحدث فيما يلي عن أهم الظواهر النسكية والرهبانية في الشعوب القديمة قبل ظهور المسيحية.

أولا: الرهبانية في الديانات الهندية

يبدو للناظر في خرائط الهند أن بلاد الهند واسعة الرقعة متباينة في أجوائها ومناخها واقتضى هذا التباين في الأجواء الطبيعية أن يختلف سكانها في أجسامهم وطبائعهم وأيضا في اتجاهاتهم وعقائدهم وطقوسهم الدينية.

ولقد أظهرت الكشوف العلمية أن بلاد الهند كان يسكنها بعض الأقوام قبل وفود القبائل الآرية إليها وهؤلاء الأقوام يعرفون بالسكان الأصليين لبلاد الهند.

---

(١) راجع دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية ص ١، د./ عبد القاهر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٢ المكتبة العصرية ببيروت سنة ١٩٦٧م.

هذا وقد غزا الآريون [١] بلاد الهند في عام ١٥٠٠ قبل الميلاد[٢].

أصل النسك الهندى وبدايته:

يشير الباحثون إلى احتمال أن تكون بلاد الهند قد عرفت التنسك قبل مجيء الآريين.

يقول د. / رالف لنتون: (وما من شك في أن نظام النساك نشأ في الهند، ومن المحتمل جدا أنه كان معروفا فيها قبل مجيء الآريين، فهو شيء لا مثيل له بين حضارات الذين يتكلمون اللغات الهندوأوربية خارج الهند) [٣].

ومما يؤكد هذا أنه عثر على ختم في (موهنجو- دارو) - إحدى المدن التي اكتشفت حديثا والتي دلت أن للهنود حضارة قديمة تلتقي فيها مع أقدم الحضارات الإنسانية في الشرق الأوسط[٤] - وعليه نرى شخصا في جلسة كانت توصف بأنها جلسة الناسكين في العصور التالية[٥].

---

(١) لقد شاع استعمال كلمة «الآريين» على جميع القبائل الهندوأوربية ولكن المحققين من العلماء يشيرون أنها لا تطلق على وجه الدقة إلا على القبائل التي استقرت في بلاد الهند وبلاد فارس. وكلمة (آرى) تعنى النجيب أو الوفي، وكانت تطلق أيضا على الشرفاء، ولذلك عندما وطئت أقدام الآريين بلاد الهند اعتبروا أنفسهم بالشرفاء بينما اعتبروا السكان الأصليين فيها بالأرذال راجع: (حسن بيرنيا: تاريخ إيران القديمة ص ١٣ - ١٦) ترجمة د. / محمد نور الدين عبد المنعم، د. / السباعى محمد مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٩م، د./ محمد الندوى: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ص ٦١ - ٦٣ ط دار الشعب سنة ١٩٧٠م.

(٢) وهناك بعض الآراء تشير إلى أن الآريين بدءوا يتوافدون على الهند حوالى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد (راجع همايول كبير: التراث الهندى ص ٥ مجلس الهند للروابط الثقافية).

(٣) د. / رالف لنتون: شجرة الحضارة جـ٣ ص١٧٥ ترجمة د./ أحمد فخرى، مكتبة الأنجلو سنة ١٩٦١م.

(٤) كان تاريخ الهند قبل عام ١٨٠٠ ق. م. مجهولا تماما حتى أوائل القرن العشرين الميلادي، ثم بدأت الحفريات في السند على شواطئ نهر الهند في عام ١٩٢٢م، ونتيجة لذلك ظهر أول كتاب (وهو عبارة عن نتائج أعمال الأحفار في وادي نهر الهند) وذلك في لندن عام ١٩٣٢م بعنوان (موهنجو دارو وحضارة نهر الهند)، ثم تتابعت عمليات الحفر والتنقيب. راجع د./ محمد الندوى: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ص ٢١).

(٥) شجرة الحضارة جـ٣ ص ١٧٤.

ويدل على ذلك أيضا أن (ميجاستينس) - الذي كان سفيرا للإمبراطورية السلوقية التي كانت في الشرق الأدنى وكان قد ذهب إلى الهند عام ٣٠٢ قبل الميلاد - يذكر أن الناسكين قد أصبحوا في أيامه منذ قرون كثيرة شيئا عاديا في الحياة الهندية[١].

أما عن أصل النسك الهندى فليست هناك بداية محددة ولا معرفة مؤكدة عن أصل النسك الهندى في الفترة الأولى قبل قدوم الآريين.

وكل ما يقال عن النسك في هذه الفترة إنما هو من قبيل الاحتمال أو الظن أو التخمين.

لذلك يقول د. / رالف لنتون: (وربما كان النسك الهندى في بدايته شبيها من الناحية السيكولوجية بالبحث عن الرؤيا والإلهام لدى هنود شمالي أمريكا. فقد كان طالب الرؤيا يصوم ويوقع على نفسه بعض أنواع التعذيب ليستدر بهذا العمل عطف إحدى الكائنات ذات القوى التي فوق الطبيعة، فإذا نجح فإن ذلك الكائن يظهر أمامه - كما يعتقدون - ويعده بالمساعدة ويذكر له في الوقت ذاته أشياء معينة يحرم عليه فعلها، وعلى الإنسان مراعاة ذلك مراعاة تامة حتى يحتفظ بصلته مع هذا الكائن) [٢].

وارتبط النسك منذ بدايته في بلاد الهند بالمشقة والتعذيب وذلك عن طريق حرمان الجسد من كل وسائل الراحة واللذات. وكان الهدف منها - في نظرهم - التقدم الروحي حتى يصل الراهب إلى درجة اجبار المعبودات على طاعته.

فمنذ الوقت الذي بدأ فيه النسك الهندى يظهر في التاريخ كان القيام بأشياء قاسية شديدة يحمل في ثناياه - كما يقول د./ رالف لنتون - التحدي ضد القوى التي فوق الطبيعة. وكان الناسك يصوم وكان صومه في الواقع

(١) المرجع السابق نفس الصفحة. (٢) المرجع السابق ص١٧٥.

تحديا للمعبودات، لأن ذلك يزيد من قواه الروحانية.

وفي أسطورة من أقدم الأساطير نقرأ عن ناسك استطاع أن يقوم بالكثير من كفارات التوبة حتى أصبح له من القوة ما جعله يجبر المعبودات على طاعته [١].

وكان الناسك يصل إلى هدفه - في نظرهم - بعد أن يقوم بعدة أعمال أهمها:

- قطع الصلة بكل ما يربطه بالدنيا بما في ذلك ما يربطه بعائلته أو ثروته.

- الاعتزال في مكان بعيد عن الغابة حيث يتفرغ للتأمل ولتمرينات رياضية مختلفة تستهدف حصوله على السيطرة التامة على جسمه[٢].

النسك الهندى في عصر الديانة البراهمانية الأولى [٣]:

تنسب هذه الديانة إلى «براهمان» [٤] أحد الأسماء التي ذكرت في «الفيدا» والتي كان الكهنة يستعملونها لتعيين الكائن الأوحد [٥] وأطلق اسم الديانة البراهمانية: على العقائد والمبادئ الفلسفية التي اعتنقها الكهنة مستنبطة من الفيدات الثلاث الأخيرة - وهي ساما فيدا، ياجو فيدا، آثار فيدا - بطريقة التأمل[٦] وقد ظهرت هذه الديانة فيما بين سنتي ٨٠٠ - ٦٠٠ ق. م. وترجع

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة. (٢) المرجع السابق ص ١٧٦.

(٣) توصف الديانة البراهمانية التي ظهرت بين سنتي ٨٠٠ - ٦٠٠ قبل الميلاد بالبراهمانية الأولى أما التي ظهرت بعد بوذا فتوصف بالبراهمانية الثانية.

(٤) أن كلمة «براهما» أو «براهمان» كانت - في البداية- بمعنى التبتل، والشعار الديني، والصلاة، والترنيمة الدينية، وفي عصور متأخرة أطلق على الكاهن اسم «براهمان»، وقد يكون السبب في ذلك أن الكاهن عابد متبتل أو مؤلف للترنيمات الدينية، وأيضًا أطلق على سيد الآلهة - لدى الهنود - اسم «براهما» وأطلق أيضا على الملحق على الكتب الفيدية الأربعة، وأخيرا على الطائفة المفضلة لدى الهندوس (راجع حامد عبد القادر: بوذا الأكبر ص ١٦، الهند القديمة ص ٨٩).

(٥) راجع د./ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص ٩٧ ط الثانية مكتبة الأنجلو سنة ١٩٥٠م.

(٦) بوذا الأكبر ص ١٦.

بالإضافة إلى الفيدات الثلاث الأخيرة إلى ثلاثة كتب مقدسة هي:

١- البراهماناس: وهو كتاب مستنبط من الفيدات الثلاث الأخيرة.

٢- الأرانياكاس: يحتوى هذا الكتاب على التعاليم التي يجب أن يسير عليها الكهنة.

٣- الأوبانيشاد: ويشتمل على الأفكار الفلسفية التى أنتجتها هذه الديانة(١)

أما بالنسبة للتنسك: فنجد أنه بعد أن أصبحت الديانة البراهمانية الأولى هي السائدة تغير الحال وأصبح النظام النسكى الهندى واضحا. غير أنه في خلال هذه الفترة مر بمراحل متعددة.

ففي البداية نجد أن الفرد الهندى في العهد الأول كان يعتبر شخصه بعض الإله الأعظم - (براجاباتى)(٢) وذلك حسب اعتقادهم - ولهذا نصت «الفيدا»(٣) على أن جميع الأعمال البشرية خير، وأن الشر لا يقع إلا من الخطأ

---

(١) الفلسفة الشرقية ص ١٠٢.

(٢) الإله براجاباتى- هو إله الذرات والإنسان والكائنات كلها - لدى الهنود - وقد برز اسمه في كتب الفيدا الأخيرة، وقد وصفته كتب الفيدا بالكلمات الآتية - قد نشأ هذا الإله كما تنشأ الجرثومة الذهبية، فلما ولد أصبح سيد هذا الكون. وهو الذي أبرز السماء والأرض إلى الوجود، ومنح الحياة والقوة لجميع الألهة وبهذا يكون هذا الإله - في نظر الهنود- خالق الكائنات والآلهة والإنسان وأعمال الإنسان وصفاته والمبادئ والمثل (راجع الهند القديمة ص ٨٨).

(٣) الفيدا هو الكتاب المقدس لدى الهنود، ومعنى كلمة «فيدا»: العلم والمعرفة وهى كلمة سنسكريتية مشتقة من كلمة «فيديا» ومعناها علم أو قانون، وقد ذكر د./ محمد غلاب أن أدق معنى لهذه الكلمة هو العلم عن طريق الدين بكل ما هو مجهول، وينجم عن هذا التعريف أن تكون «الفيدا» منبع جميع المعارف الهندية من دينيات وأخلاقيات ونظريات علمية أو اجتماعية (راجع: بوذا الأكبر ص ١٠، الفلسفة الشرقية ص ٩٢ - ٩٣).

وقد اختلف في أصل وضعها وزمن وضعها؟ فالبعض يرى أنها ترجع إلى مصادر هندية قديمة، والآخرون يرون- وهو الراجح - أن الفيدا كتاب الآريين أتوا به إلى الهند وأذاعوه فيهم في حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد بعد استيلائهم على بلاد الهند، ويرجح هذا الرأي ما فيها من صور عقلية واجتماعية هي على طرفي نقيض مع الصور التى كشفها الأثريون حديثا للهند القديمة. وفوق ذلك فهي مكتوبة باللغة السنسكريتية وهى لغة لم تكن معروفة لدى الهنود الأصليين ولكنها كانت.........=

في الطقوس الدينية أو التقصير في أدائها.

ثم بدأت نظرة الفرد إلى أعماله تتغير وذلك حين ضعفت ثقته في نفسه، ولذلك نص كتاب (البراهماناس) [١] على أن الأعمال البشرية مزيج من الخير والشر، وأن الخيرين يذهبون إلى جوار الآلهة ليستمتعوا بالنعيم الخالد، وأن الشريرين يذهبون إلى العذاب أو إلى العدم المطلق إذا لم يستعينوا على النجاة منه بطقوس معينة تدعى (كارمان)[٢].

ثم تغيرت النظرة إلى الأعمال تغيرا كبيرا، فأعلن كتاب «الأوبانيشاد»[٣] أن جميع الأعمال البشرية- سواء منها ما كان خيرا في ذاته أو شرا في ذاته - شر من غير استثناء لسببين:

الأول: أنها على اختلاف أنواعها تلهى الفرد عن التفكير في جوهره المطلق

=لغة الآريين القاطنين في بلاد الهند وحدهم. ولا يعرف المؤرخون بالضبط متى جمعت «الفيدا» وإنما كل الذي ثبت لديهم هو أن بعض أناشيدها يرجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وأن صيرورة هذا الكتاب إلى ما هو عليه قد استغرقت عدة قرون. ويرجح بعض العلماء أنه قد جمع في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. أما من الذي وضع هذا الكتاب؟ ففيه أيضا اختلاف، فالبعض يرى أن وضعه قد تم على أيدي فريق من حكماء الهند القدامى يطلق عليه اسم الريشيين أي الحكماء أو العارفين الذين دونوا بأيديهم الحكمة التى وصلت إليهم بطريق الإلهام الشخصي أو بطريق الرواية الشفوية ممن سبقهم، والآخرون يرون أن الذي ألفه رجال كثيرون من رجال الدين الآريين باللغة السنسكريتية وبالشعر، وبهذا لم يكن للفيدا مؤلف واحد كما لا يمكننا تحديد أسماء مؤلفيه. وكان يتكون في أول الأمر من أربعة أقسام (ريج فيدا) ويحتوى على الأوراد، و (سامان فيدا) ويحتوى على الأناشيد، و (ياجوس فيدا) ويحتوى على طقوس الضحايا والقرابين، و(آثار فيدا) ويحتوى على التعاويذ السحرية. (راجع د./ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص ٩٢، ٩٣، الأستاذ حامد عبد القادر بوذا الأكبر ص ١٠ - ١٥، سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب، مكتبة نهضة مصر، الهند القديمة ص ٩٨.

(١) البراهماس: هو الكتاب المقدس الأول لدى البراهمانيين وهو كتاب مستنبط من الفيدرات الثلاث الأخيرة السابق ذكرها في الهامش السابق، ويشتمل على مقالات تفيض في شرح الطقوس والشعائر الدينية التى يمارسها رجال الدين في نظام تفصيلي دقيق (راجع المراجع المشار إليها في الهامش السابق).

(٢) راجع الفلسفة الشرقية ص ١٠٧ بتصرف.

(٣) أحد الكتب المقدسة لدى البراهمانية الأولى، والراجح لدى العلماء أنه دون في القرن السادس قبل الميلاد، ويتضمن هذا الكتاب الأفكار والآراء التى أدركها أهل التبتل والتنسك.

أو في (أتمانه) الأعلى أو في (براهمان أتمان) وهذا هو مبدأ وحدة الوجود الذي شاع في الديانات الهندية.

الثاني: أن هذه الأعمال تنتج (الكارمان) الذي أصبح معناه نوعا من المسئولية يوجب جمع أعمال كل شخص ويحتم على صاحبها العودة إلى الحياة بواسطة التناسخ المشقى أيا كان لون هذه الأعمال. لأن الخير من بينها كالشر يعيد الإنسان إلى الحياة، وإن كان هناك فرق بين الحياتين في السعادة والشقاء [١].

والمنقذ الوحيد - في نظرهم - من هذا التناسخ أو من الحياة والموت معا هو اعتزال الأفعال نهائيا، ولكن هذا الاعتزال لا يتحقق إلا بوسيلتين:

الأولى: المعرفة التى لا تتم النجاة والسلام إلا بها، لأن بها وحدها - في نظرهم - ينمحي الزيف من القلب البشرى، وبها يتحرر الفرد من قيود الأخطاء، ولهذا يعلن «الأوبانيشاد» أن الطريقة الوحيدة للامتزاج بـ «براهمان» هي المعرفة.

أما الوسيلة الثانية: فهي انحصار الإنسان في نفسه، والتمركز في داخل مطلقه الأزلي، واعتزال الحياة بوجه عام.

فإذا أخذ الإنسان في أسباب هذا الاتصال - أو الامتزاج كما يقولون - بـ «براهمان» وجب عليه أن يجعل غايته كشف السر الأسمى - في نظرهم - ووسيلته إلى هذا الكشف اعتزال الحياة وما تحويه من مظاهر وأعمال، وتسليمه نفسه إلى التأمل العميق المنتهى إلى الغيبوبة والامتزاج بـ (براهمان) والفناء فيه [٢].

ويزيد كتاب «الأوبانيشاد» هذا المعنى وضوحا إذ يقول (كما أن الصائغ يأخذ قطعة

---

(١) الفلسفة الشرقية ص ١٠٧ - ١٠٨ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٩.

من الذهب فيجعل منها قطعة أخرى أجد وأجمل شكلا، فكذلك هذه النفس البشرية الجزئية، فإنها بعد أن تنبذ هذا الجسد، وتتخلى عن جميع مظاهر الجهل تجعل من نفسها نفسا أخرى أجد وأجمل شكلا كشكل الأب، أو كشكل براهما، أو غير هذا أو م اك من الكائنات»[١].

وفي هذه الفترة - فترة انتشار الديانة البراهمانية - كانت حياة النسك - كما تقول الكتب الهندية المقدسة التى تم تأليفها في بداية العصر التاريخي- مفتوحة أمام أعضاء الطبقات[٢] الثلاث التى تحتل أعلى مكانة وهم:

١- براهما. ٢- كشاتريا. ٣- بيش.

لكنها كانت محرمة على طبقة «السودرا».

يقول د. / رالف لنتون (ولم تقتصر حياة النسك على الباحث في الروحانيات بل شملت الأمير الذي تعب من منصبه، والزوج الذي لم يعد يطيق معاشرة زوجته، أو التاجر الذي يلاحقه دائنوه، فإن أي واحد من هؤلاء كان باستطاعته أن ينضم إلى صفوف الرجال المقدسين كان يذهب إلى الغابة، ويعتزل الناس ويحيا حياة بسيطة طاهرة، وفي أكثر الأحيان كان يتتلمذ على أحد الرجال المقدسين ذوى الشهرة فيعمل خادما له، ويتلقى في مقابل ذلك إرشاداته، وفي بعض الأماكن أقامت جماعات من المتوحدين [٣] الذين كانوا يقضون الوقت في مناقشات فلسفية، وفي دراسات للآداب المقدسة، وفي التأمل.

---

(١) بوذا الأكبر ص ٢١.

(٢) يحدثنا التاريخ أن طبقات الشعب الهندى في عهد البراهمانية الأولى كانت أربعا:

الطبقة الأولى: براهمان وهم الكهنة.

الطبقة الثانية: كشاتريا أو كشتر وهم طبقة الجند.

الطبقة الثالثة: بيش وهم طبقة العمال وأصحاب المهن الزراعية.

الطبقة الرابعة: سودرا وهم طبقة الأرقاء. (راجع البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص٧٦ - ٧٧، طبعة دائرة المعارف العثمانية، عالم الكتب سنة ١٩٥٨م.)

(٣) والمتوحدون هم الذين كانوا يعيشون في وحدة وعزلة بعيدا عن الناس.

وفي خلال العصر التاريخي المبكر كان كثير من هذه الآداب مازال ينقل عن طريق التلقين الشفهي وكان يتحتم معرفته وحفظه بطريق الصم حفظا غيبا[١].

وبرغم أن حياة النسك في هذه الفترة كانت مفتوحة أمام الطبقات الثلاث السابق ذكرها، إلا أنه كان يوجد تفريق واضح بين البراهمانيين - وهم أصحاب الطبقة الأولى- والنساك من الطبقات الأخرى.

فالبراهمانيون يستطيعون أن يصبحوا نساكا لكن أكثرهم لم يفعل ذلك.

كان البراهمانيون مهرة فيما يتعلق بما فوق الطبيعة، وكانوا كهنة محترفين يعرفون الطقوس المعقدة الطويلة التى تتطلبها الديانة البراهمانية، ولكنهم في خارج نطاق واجباتهم الدينية كانوا يحيون حياة عادية اللهم إلا تلك الحدود التى تفرضها عليهم تعليمات طبقتهم، وكان كثيرون منهم يحبون الحصول على الثروة أو السيطرة الاجتماعية[٢].

النسك الهندى في الديانة الجينية والديانة البوذية:

في القرن السادس قبل الميلاد ظهرت في بلاد الهند ديانتان هما:

١- الديانة الجينية.

٢- الديانة البوذية.

وهاتان الديانتان كانتا رد فعل لما أحدثته الديانة البراهمانية من التفريق بين الناس واعتبار الكهنة هم الطبقة الأولى في المجتمع وأن لهم من المكانة ما لا يستطيع أحد بلوغها فهم وحدهم الذين يستطيعون التأثير على الآلهة والتعامل معهم بالطقوس والقرابين.

وقد ظهرت هاتان الديانتان في وقت واحد تقريبا ولهدف واحد هو

(١) شجرة الحضارة جـ٣ ص١٧٧. (٢) المرجع السابق ص ١٧٨.

تخفيف حدة الديانة البراهمانية وتوجيه الطعنات إليها - وإن شئت الدقة - فقل «المحاولة إصلاح بعض تعاليمها»[(١)].

١- النسك في الديانة الجينية:

مؤسس هذه الديانة (فاردامانا ماهافيرا) ولد حوالي سنة ٥٩٩ ق. م. وتوفى سنة ٥٢٧ ق.م، واشتهر عنه أنه كان زاهدا.

وتنسب إلى «جينا»[(٢)]

كانت معظم تعاليم هذه الديانة تتعلق بالناحية العملية فهي تركز على رياضة النفس وعلى الزهادة والتحرر من قيود الشهوات واعتزال جميع مظاهر الحياة، ولذلك كانت هناك جماعات من أتباع هذه الديانة تسمى بالرهبان.

ولا تقتصر الرهبنة في هذه الديانة على الرجال فقط بل شملت النساء أيضا، وسوت بينهن وبين الرجال في نتيجة الزهادة. ولذلك قبلت زهادة النساء على أن تقيم لهن صومعات خاصة غير صومعات الرجال[(٣)]

نظم الرهبنة في الديانة الجينية:

أقرت هذه الديانة مبدأين من أكثر المبادئ شيوعا في الهند وهما: الزهد والتقشف إلى أقصى حد، ومبدأ الامتناع عن تعذيب الإنسان وأي نوع من أنواع الحيوان بأي صورة من صور التعذيب. هذا وقد وضع مؤسسو الديانة الجينية نظما للرهبنة تتلخص فيما يلي:

(١) كان على الراهب الجينى أن يلتزم بالوفاء بخمسة عهود هى:

- عدم القتل.

---

(١) جوزيف كاير: حكمة الأديان الحية ص ١١، ترجمة حسين الكيلانى، دار مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٦٤م.

(٢) و«جينا» ليس اسم علم ولكنه صفة معناها القاهر أو المتغلب وقد وصفت بذلك لأن مؤسسيها عرفوا بقهر شهواتهم والتغلب على رغباتهم المادية. (راجع بوذا الأكبر ص ٢٦).

(٣) الفلسفة الشرقية ص ١٩٩.

o عدم الكذب.

o عدم السرقة.

o التمسك بالعفة.

o الزهد في الملكية.

(٢) وكان عليه أيضا ألا يلحق الضرر بأي كائن، وكان الخوف من إيذاء المخلوقات يلازم الراهب في كل عمل يقوم به.

(٣) وكان يحرم على الراهب الجينى أكل اللحوم. ولقد غلا الرهبان الجينيون في تطبيق هذين المبدأين غلوا شديدا، حيث إنهم كانوا يضعون على أفواههم وأنوفهم شبه كمامة تمنع دخول أي كائن حي فيها عند التنفس وحين يمشون في الطريق يمسك الواحد منهم بيديه مكنسة يكنس بها الطريق خشية أن تطأ قدماه كائنا حيا صغيرا بريئا فيموت.

(٤) وكان على الراهب الجينى أيضا أن يلتزم جانب الحيطة والحذر في تصرفاته، وأن يضبط نفسه إلى أقصى حد فلا يسمح لجسمه ولا للسانه ولا لعقله بمخالفة الفضائل، وعليه أن يقمع شهواته ويجنب نفسه الشعور بالآلام أو المضايقات.

(٥) وكان على الراهب الجينى أيضا أن يؤدى جميع الواجبات المفروضة عليه باعتباره راهبا وفي مقدمة ذلك المثابرة على التأمل الروحاني[١].

ويعتقد الجينيون أنه بعد أن يلتزم الراهب الجينى هذه الرياضات النفسية في دقة وصرامة اثنتي عشرة سنة - يسمح له بالاستمتاع بنعمة الموت جوعا كي تنقطع أعماله التى في كل منها مظنة إلحاق الضرر بكائن من الكائنات المزودة بالأرواح.

ووصول الراهب الجينى إلى هذه المنزلة يدل في نظرهم على أن هذا

---

(١) راجع: بوذا الأكبر ص ٢٩ - ٣٠، الهند القديمة ص ١٤٣.

الراهب قد وصل إلى أسمى درجات الزهد والتقشف[١].

٢ - النسك في الديانة البوذية:

تنسب إلى «جوتاما بوذا» [٢] الذي ولد في القرن السادس قبل الميلاد. وقد عاش «بوذا» حياة الزهد والتقشف [٣].

يذكر المؤرخون أنه رغم أن والده كان رئيس قبيلة وكان من الطبقات الممتازة إلا أنه فضل حياة التنسك والزهد، وقد اقتنع بديانته عدد كبير من الهنود، وبدأت تنتشر شيئا فشيئا حتى انتشرت في بلاد الشرق.

وأهم مبادئ بوذا الدعوة إلى التقشف والزهد.

نظم الرهبنة في الديانة البوذية:

كانت الفكرة الرئيسية لمذهب «بوذا» فكرة الألم لأن الحياة عنده كلها إما ألم واقعي، وإما سرور سريع حائل ينتهي حتما إلى ألم محقق.

ولما كانت غاية «بوذا» من مهمته هي النجاة من كل هذا فقد فكر وأطال التفكير في الوسيلة التي يستخدمها للوصول إلى هذه الغاية، فانتهى به تفكيره إلى أربع حقائق[٤] وهي كما يلي:

أولا: أن الوجود كله هم وحزن، بمعنى أن الحياة بجميع صورها - الولادة والنمو والشيخوخة والمرض وفراق الأحباب - ليس فيها إلا ما يؤلم الإنسان

---

(١) بوذا الأكبر ص ٣١.

(٢) أن «بوذا» ليس اسم علم على شخص، وإنما هو لقب شرف ديني عظيم - لدى الهنود - معناه الحكيم أو المستنير، ولا يطلق في اصطلاح المتدينين من الهنود إلا على كل من هؤلاء الأفراد القليلين من بني الإنسان الذين جاهدوا جهادا روحيا عنيفا في سبيل الوصول إلى الحق (المرجع السابق ص ٣٤).

(٣) عن تفاصيل حياة بوذا، راجع توملين: فلاسفة الشرق ص ٢١١ طبعة دار المعارف، الهند القديمة ص ١٤٥، بوذا الأكبر ص ٣٥.

(٤) راجع: الفلسفة الشرقية ص ١٣٣، بوذا الأكبر ص ٨٣.

ويضيره ويسبب له الهم والحزن، ولذلك فالعالم كله ألم في رأى جوتاما بوذا.

ثانيا: أن هذا الألم نشأ عن أصل في الإنسان وهذا الأصل هو الشهوة، فالشهوة هي سبب الغم والحزن. فالإنسان باتصاله بالحياة الخارجية تتحرك في نفسه الشهوات الحسية، والرغبات الدنيوية، فتتوق نفسه إلى الاستمتاع بملذات الحياة ومباهج العيش وهو في الغالب- كما يرى بوذا- لا يستطيع تحقيق أمانيه ولذلك يعتريه الحزن ويحيط به الغم من كل جانب. فالشهود هى منبع الحزن والهم والغم، ولذلك فهي مصدر الألم.

ثالثا: لكي يتخلص الإنسان من الألم والحزن والهم والغم يجب عليه أن يتغلب على تلك الشهوة وأن يقطع كل صلة تربطه بالحياة المادية.

لذلك يقول بوذا (انظروا أيها الرهبان ها هي ذي الحقيقة المقدسة بشأن الألم. إن الولادة والشيخوخة والمرض والموت وفراق الإنسان لمن يحبهم، إنها كلها آلام، إنها التعطش إلى اللذة، والتعطش إلى البقاء، والتعطش إلى ما هو فان. وها هي ذي الحقيقة عن محو الآلام، إنها القضاء على تلك الشهوة بالقضاء على الرغبة)[1]

فقتل الشهوات ومحو الرغبات - في رأي بوذا- هو الذي يحرر الإنسان من أغلال الحياة، وينقذه من آلامها.

رابعا: لكي يصل الإنسان إلى القضاء على كل أثر من آثار الشهوة يجب عليه أن يمزج حياته بمجموعة من الفضائل المعينة [2] أهمها: الاتجاه دائما

---

(١) شجرة الحضارة جـ٣ ص ١٩٢.

(٢) ذكر د./ رالف لنتون، والأستاذ/ حامد عبد القادر ود./ محمد الندوى وغيرهم أنه لكي يصل الإنسان في نظر البوذية إلى القضاء على الشهوة والوصول إلى المرتبة الروحانية عليه أن يتبع في سلوكه ثمانية مبادئ هي: الأفكار الصحيحة، ويقصد بها في نظر البوذيين الاعتراف بالحقائق الأربع التي ذكرناها، والأغراض الشريفة، والقول الطيب، والعمل الصالح، والحياة الصحيحة، وبذل المجهود الصادق، والاهتمام الصحيح، وصدق التأمل الروحاني (راجع: شجرة الحضارة جـ٣ ص ١٩٣، بوذا الأكبر ص ٨٤ - ٨٥، الهند القديمة ص ١٤٧).

إلى عمل الخير، والتفكير فيه، واجتناب الاتجاه إلى الشر والتفكير فيه، وألا يقتل أي كائن حي، وألا يسرق، وألا يكذب، وأن يحفظ لسانه من السب والاستهزاء بالناس. لذلك قال بوذا: على المرء ألا يقتل كائنا حيا، ولا يأخذ ما يعطى له، ولا يكذب، ولا يسكر، ولا يزني»[١].

ويتبع هذا التفرغ للتأمل والتبتل والرياضة الروحانية، والانغماس فيها كي يصل الإنسان إلى أعلى درجات الرقي الروحاني - لدى البوذيين - إلى «النيرفانا»[٢].

---

(١) د./ إيفار ليسنر: الماضي الحي ص ١٧٨. ترجمة شاكر إبراهيم. مراجعة د./ محمد عصفور. الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨١م.

(٢) يذكر «ول ديورانت»: أن الآراء اختلفت حول معنى «النيرفانا»، والسبب في هذا أن بوذا قد ترك معناها غامضا، ولذلك جاء أتباعه وفسروا الكلمة بكل ما يستطيع أن يقع تحت الشمس من ضروب التفسير: فالكلمة في السنسكريتية بصفة إجمالية معناها «منطفى» كما ينطفئ المصباح أو تنطفئ النار. أما الكتب البوذية المقدسة فتستعملها بمعان:

(١) حالة من السعادة يبغاها الإنسان في هذه الحياة باقتلاعه لكل شهواته الجسدية اقتلاعا تاما.
(٢) تحرير الفرد من عودته إلى الحياة.
(٣) انعدام شعور الفرد بفرديته.
(٤) اتحاد الفرد بالله.
(٥) فردوس من السعادة بعد الموت.

أما الكلمة في تعاليم بوذا فمعناها فيما يظهر إخماد شهوات الفرد، وما يترتب على ذلك للذات من ثواب ويقصد به الفرار من العودة إلى الحياة.

وأما في الأدب البوذي فكثيرا ما تتخذ الكلمة معنى دنيوي، إذ يوصف القديس في هذا الأدب مرارا بأنه اصطنع النرفانا في حياته الدنيا بجمعه لمقوماتها السبعة وهي: السيطرة على النفس، والبحث عن الحقيقة، والنشاط، والهدوء، والغبطة، والتركيز، وعلو النفس.

تلك هي مكونات النرفانا، لكنها لا تكاد تكون عواملها التي تسبب وجودها، أما العامل المسبب لوجودها، والمصدر الذي تنبثق عنه النرفانا فهو إخماد الشهوة الجسدية، وعلى ذلك تتخذ كلمة «النرفانا» في معظم النصوص معنى السكينة التى لا يشوبها ألم، والتي يثاب بها المرء على إعدام نفسه إعداما خلقيا. (راجع قصة الحضارة، المجلد الأول جـ ٣ ص ٨٤ - ٨٥).

ولقد حدد الأستاذ / حامد عبد القادر معنى «النيرفانا» فقال (وكان يقصد بالنيرفانا في أول الأمر: انتقال الروح إلى الملأ الأعلى بعد أن يحيا الفرد حياة خلقية صافية راقية لا تضطره لأن يحيا حياة أخرى ولكن هذا المبدأ طرأ عليه فيما بعد معنى جديد، إذ قصد به: وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه، والقضاء على جميع رغباته المادية والفرق بين المعنيين واضح، فالمعنى....=

وكان بوذا يشترط على أتباعه الفقر، والطهارة، وعمل الخير، ويطلب منهم أن يلبسوا لباسا يميزهم - وهو الثوب الأصفر- وحلق قمة الرأس، ونظمهم في جماعات من رهبان الأديرة.

وكان الرهبان البوذيون والراهبات اللاتي قَبِلَ بوذا انضمامهن إلى تنظيمه الديني بعد شيء من التمنع[١] يخرجون للتبشير بدينهم في الفصول غير الممطرة.

أما في الفصول الممطرة فكانوا يعودون إلى أديرتهم ويقضون الوقت في التأمل والدراسة[٢].

يذكر المؤرخون أنه بعد وفاة بوذا اختلف أتباعه حوله اختلافا كبيرا، وانقسموا إلى جماعتين:

- جماعة الهينايانا.
- جماعة المهايانا.

وهذه الجماعة الأخيرة هي التي أضفت على بوذا صفات الألوهية وعرضته في صورة رب العالمين.

أما جماعة (الهينايانا) فقد عرضته في صورة بشرية [٣].

وقد انتشرت البوذية بعد بوذا انتشارا كبيرا وساعد على ذلك أن الإمبراطور

=الأول يقضى بأن هذا المبدأ لا يتحقق إلا بعد الموت. أما الثاني فيقضي بأنه من الجائز أن يصل المرء إلى مرتبة النيرفانا في حياته - إذا أفلح في الوصول إلى الدرجات العليا من درجات الرقى الروحاني ولم يكن ثمة داع إلى تناسخ روحه (راجع بوذا الأكبر ص ٨١).

(١) ولقد حذر بوذا أتباعه من مصاحبة النساء لذلك حين سأله أحد أحباره: ماذا نفعل عندما تتحدث إلينا النساء؟ أجابه بالقول كن حذرا غاية الحذر (راجع الماضي الحي ص ١٧٨) ويذكر «توملين» أن بوذا برغم أنه حذر أتباعه الرجال بالإقلال من التعامل مع النساء قدر المستطاع. لم يظهر هو نفسه نفوره من تكرار مصاحبتهن (راجع فلاسفة الشرق ص ٢٣١).

(٢) شجرة الحضارة جـ ٣ ص ١٩٠.

(٣) راجع: الهند القديمة ص ١٥٤.

«أشوكا»[1] اعتنق الديانة البوذية وتحمس لها حتى أصبح من أكبر المبشرين لا في إمبراطوريته فحسب بل فيما جاورها وما وراءها أيضا، ولذلك أرسل سفراءه إلى بلاد اليونان وأنطاكية والإسكندرية، للتبشير بالديانة البوذية.

ولم تأت سنة ٢٠٠ ق. م والمؤلفات البوذية منتشرة في معظم أنحاء العالمين اليوناني والروماني.

الخلاصـــة:

يتضح لنا مما سبق أن الهنود كانوا يدينون بالزهد والتقشف الصارم، وإذلال الجسد، وكانوا يرون أن الطريق الوحيد للوصول إلى السعادة والرقى الروحي – في نظرهم – هو قتل الشهوات ومحو الرغبات، ولا يكون ذلك إلا بتعذيب الجسد بشتى الوسائل وحرمان الإنسان من كل وسائل الراحة.

وهذه الرهبنة الهندية انتقلت إلى بلاد كثيرة من بلاد العالم قبل ظهور المسيحية.

ثانيا – الرهبانية في الديانة المصرية القديمة

يحدثنا التاريخ القديم أن المصريين هم أكثر الشعوب القديمة تدينا، وهم أيضا أشد تلك الشعوب تمسكا بالمعتقدات الدينية.

«لقد كان الدين في مصر من فوق كل شيء ومن أسفل منه، فنحن نراه فيها في كل شكل من أشكاله، من الطواطم [2] إلى علم اللاهوت، ونرى أثره في الأدب، وفي

---

(١) إمبراطور هندى عاش ما بين عامي ٢٩٣ ق. م – ٢٣٢ ق. م.

(٢) تطلق كلمة «طوطم» التي تنسب إليها «الطوطمية» على كل أصل حيواني أو نباتى تتخذه عشيرة ما رمزا لها ولقبا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزله وتنزل الأمور التى ترمز إليه منزلة التقديس. عرفت (الطوطمية) لدى القبائل البدائية في استراليا والهنود الحمر في شمال أمريكا «لمزيد من المعلومات عن الطوطمية راجع: المعجم الفلسفي ص ١١٣، معجم العلوم الاجتماعية ص ٣٧٣، د./ على عبد الواحد وافى: الطوطمية (سلسلة اقرأ ص١٣) وللمؤلف نفسه: غرائب النظم والتقاليد والعادات ص١٩).

نظام الحكم، وفي الفن وفي كل شيء، وليس هو مختلف الصور والأنواع فحسب بل هو أيضا غزير موفور»[١].

كان الدين يسيطر على كل تفكير الإنسان المصرى، ويمثل المكانة العظمى في حياة المصريين، وكان هو الحافز الأكبر لما نشأ في مصر القديمة من علوم وفنون، وبه أيضا اصطبغت آدابها وفلسفتها.

«ولذلك تكوّن في مصر عدد كبير من المعتقدات الدينية التي تنوعت أفكارها وتعددت مذاهبها، فهناك من الآلهة ما عبد في موطن واحد، وأخرى عبدت في مواطن مختلفة، كما كانت هناك آلهة اختلفت أوصافها واتحدت في شكلها، وكذلك آلهة اتحدت في اسمها واتخذت أشكالا مختلفة»[٢].

ويحدثنا التاريخ القديم أيضا أن الميول النسكية وحياة الزهد والتنسك كانت واضحة في الديانة المصرية القديمة، وأن مصر قد ظهر فيها جماعات تعنى بالتنسك والرهبانية قبل ظهور المسيحية.

تقول المؤرخة المسيحية (بتشر): (من المسائل المقررة في الأذهان أن مبدأ الرهبنة كان موجودا في مصر من قديم الزمان)[٣].

ويقول إدريس بل: **«ربما كان في طباع المصريين نزوع دائم إلى الزهد والتقشف مما جعلهم يميلون إلى التنسك والانصراف عن الحياة الدنيا»[٤].**

وفي تاريخ الديانة المصرية القديمة ما يشير إلى تلك المبادئ النسكية.

مثال ذلك ما يفتتح به الفصل الرابع والستون من كتاب الموتى ما نصه:

---

(١) قصة الحضارة المجلد الأول جـ٢ ص ١٥٥.

(٢) أدولف أرمان: ديانة مصر القديمة ص ٧ ترجمة د./ عبد المنعم أبو بكر، د./ محمد أنور شكرى. طبعة الحلبى.

(٣) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٤ ترجمة إسكندر تاضروس مطبعة مصر سنة ١٩٠٠م.

(٤) سير هارولد إدريس بل: الهلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ترجمة زكى على، طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٩م.

«هذا الفصل سيقرأه رجل نظيف طاهر، لم يأكل لحم الحيوان أو السمك، ولم يخالط النساء».

وفي الفصل السابع والثلاثين بعد المائة ما يشبه هذا النص.

وفي طقوس إيزيس وأوزوريس جرى الكهنة على أن يخصصوا لآلهتهم فترات مختلفة للصوم والعبادة مع الامتناع عن أكل اللحوم والسمك وشرب الخمر(١).

وعلى مقبرة يرجع تاريخها إلى الدولة القديمة (٢) عثر على هذا النقش التالي:

كل من يدخل هنا يجب أن يكون نقيا وعليه أن يتطهر.

وكان كل من أراد أن يردد صيغة سحرية أن يغتسل، وألا يلمس امرأة، وألا يأكل لحم الماشية أو السمك(٣).

وهذه الميول النسكية المصرية تظهر بوضوح في الشروط التى وضعوها لمن يدخل المعبد.

فقد كان واجبا على كل من يدخل المعبد أن يتطهر وأن يمتنع عن الاتصال بالنساء، وأن يمتنع عن أكل بعض الأطعمة (٤).

هذا وقد تكونت في مصر جماعات كانت تتعبد بالرهبنة والعزلة.

يقول ولز **«وفي مصر على وجه الخصوص خرجت حشود كبيرة من الرجال والنساء إلى الصحراء، وهناك عاشوا عيشة عزلة تامة قوامها الصلوات والتأملات، وظلوا**

---

(١) راجع: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٢٨، دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٨.

(٢) يحدد المؤرخون تاريخ الدولة القديمة في مصر القديمة بين عامي ٣٢٠٠ ق. م - ٢٢٥٠ ق. م تقريبا.

(٣) ديانة مصر القديمة ص ٢١٤.

(٤) سبرج سونيرون: كهان مصر القديمة ص ٤٠ - ٣٧ ترجمة زينب الكردى. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م.

يعيشون في فقر مدقع في الكهوف أو تحت الصخور على الصدقات التى تقذفها إليهم الصدفة من أولئك الذين يتأثرون بقداستهم»[١].

وقد كشفت مجموعة كبيرة من أوراق البردى - التي ترجع إلى العصر البطلمى - عن وجود حركة تنسكية حول معبد السرابيوم في ممفيس[٢].

وهذه الحركة تنسب إلى جماعة اسمها (كاتا شوى)[٣].

ومن دراسة هذه الوثائق تبين أن أفرادا من شتى الطبقات كانوا بناء على انفعال[٤] دينى ينذرون للإله نسكا وعبادة، متوحدين في قلالى، منقطعين عن حياة المجتمع في شتى مظاهره[٥].

والرأي السائد[٦] لدى المؤرخين أن هذا الانقطاع كان ذا صبغة دينية إذ تصور أولئك الأفراد أن الإله ناداهم لتأدية فروض عبادته، وخدمته، وربما

---

(١) ولز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ثالث ص ٧٣١ ترجمة عبد العزيز جاويد. الطبعة الثالثة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٧٢م.

(٢) د./ مصطفى العبادى: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٣٣٣ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٥م.

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٠ دار الثقافة المسيحية سنة ١٩٨٥م.

(٤) يذكر إدريس بل: أن هذه الطائفة ظهرت بطريقة يكتنفها الغموض، وربما كان اتجاهها إلى هذا نتيجة رؤيا إلهية - كما يزعم - في حلم ولذلك التزموا خدمة الإله سيرابيس والاعتصام بداخل معبد السرابيوم (راجع: الهلينية في مصر ص ١٤٥).

(٥) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٣٣٣، راجع أيضا دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٨.

(٦) ترى المؤرخة المسيحية (بتشر) أن هذا الانقطاع ربما لم يكن انقطاعا دينيا فتقول: (ومعلوم أنه قبل التاريخ المسيحي بأجيال ترهب كثيرون من المصريين الوثنيين حينئذ، ويحتمل أن رهبتهم لم تكن بحرية إرادتهم بل إن الأمة كانت تنتخب العجزة وأرباب العاهات وترسلهم إلى الجبال لهذا الغرض لأنها كانت تعتقد أن الصفات الطبيعية كحسن الخلق، والخلقة، إنما هي وراثية يتوارثها الأبناء عن الآباء، فلذلك لم تكن ترضى بوجود هؤلاء المشوهين في وسطها لئلا يتناسلوا ويكثر نسلهم فيفقد رونق الأمة ويحط من قدرها، كذلك كان المصريون القدماء يزعمون أن الرهبنة لا تحتاج لرجال من أولى الحصافة والكياسة، أو من الذين عرفوا بعلو المبادئ والصفات الأدبية (العظمى) (راجع: تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٤).

يكونون قد ذهبوا إليه من تلقاء أنفسهم تكفيرا عن خطاياهم [١] ولقد أظهرت هذه الدراسة أيضا أن من هؤلاء النساك من بقى طوال حياته متنسكا ومنهم من كان تنسكه لفترة معينة يعود بعدها إلى الحياة الدنيا[٢].

ويذكر المؤرخون أنه قد وجدت حركة تنسكية أخرى بين طبقة الكهنة في هليوبوليس في القرن الأول قبل الميلاد.

ذلك أن هؤلاء الكهنة الرهبان كانوا ينقطعون عن جميع أعمال المعبد المختلفة من أجل التعبد والتأمل، وكان سبيلهم في ذلك هو سبيل النساك الرهبان المألوف، من التوحد والتقشف والمبالغة في العبادة والصلاة.

والملاحظ أن حركة التنسك في هليوبوليس كانت تختلف عن نساك سرابيس في ممفيس، ذلك أنها كانت بين الكهنة فقط، أما نساك سرابيس فكانوا من عامة الناس[٣].

وفي نفس الوقت ظهرت في طيبة (الأقصر) جماعة تسمي «جيمنوسوفست» امتنعت عن أكل اللحوم ورغبات الجسد وعن الحسد[٤].

يضاف إلى هذا تلك الجماعة اليهودية التى كانت تعيش في مصر حول بحيرة مريوط في حياة رهبانية منعزلة والتي كتب عنها فيلون اليهودي [٥]. وسوف نتحدث عنها فيما بعد.

وكان يتحتم على الرهبان المصريين القدماء أن يغسلوا أجسادهم ثلاث مرات يوميا، في الصباح، وفي الظهر، وفي المساء وكانوا لا يأكلون اللحم مطلقا، وكانوا ينكبون على الدرس واستيعاب العلوم والمعارف وعلى العبادة [٦].

---

(١) من تعليقات د./ جوزيف نسيم يوسف على كتاب (عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة) لكولتون ص ١١٧ طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٧م.

(٢) مصر من الإسكندر الأكبر ص ٣٣٣.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣١.

(٥) فيلسوف يهودي عاش ما بين عامى ٢٠ ق. م - ٥٠ م.

(٦) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

وهكذا يتبين لنا مما سبق أن حركات الرهبانية انتشرت بين المصريين القدماء، وأن الميول النسكية كانت واضحة من خلال المبادئ المصرية المشتملة على بعض الآداب والفضائل والحكم العديدة.

وهذا يعني أن التنسك والرهبنة الدينية كانت منتشرة في مصر القديمة قبل ظهور المسيحية، وأن لها أصولا في البيئة المصرية قبل المسيحية.

ثالثا - الرهبانية عند بعض الجماعات اليهودية

لم تعلم اليهودية [١] أن حياة الزهد والتنسك هي الحياة المثلى - ذلك أنهم مالوا إلى المادية وأسندوا لله صفات النقص حتى اشتهر عنهم التشبيه والتجسيم[٢] - غير أن هناك بعض الممارسات الزهدية التي كانت جزءا من

---

(١) يذكر زميلنا الفاضل الدكتور فتحى الزغبى في أطروحته التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراة (أن المؤرخين اختلفوا في تفسير لقب يهودي هل هو راجع إلى حادثة وقعت من اليهود؟ أو إلى حالة كانوا عليها؟ أو أنه راجع إلى شخص اشتهر بينهم.

فهناك من يذهب إلى أن قوم موسى سموا يهودا حين تابوا عن عبادة العجل وقالوا: إنا هدنا إليك، أي: رجعنا وتضرعنا. (تفسير الطبري جـ٢ ص ١٤٣، الشهرستاني: الملل والنحل جـ١ ص ٢١٠، مفاتيح الغيب مجلد ٢ جـ١ ص ١١٢).

وهناك من يرى أنهم سموا يهودا لأنهم يتهودون، أي: يتحركون عند قراءة التوراة (مفاتيح الغيب مجلد ٢ جـ١ ص١١٢). ويذهب كثير من الباحثين إلى أنهم سموا يهودًا نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب ورأس السبط الذي أصبح معروفا باسمه راجع: المجتمع اليهودي ص ٩، د./ مراد كامل: الكتب التاريخية ص ١٥، أبكار السقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص ٤٥).

وهناك من يرى أنه نسبة إلى يهوذا (وهي المملكة الجنوبية) مقارنة بالمملكة الشمالية (إسرائيل) (د./ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ٣ ص ١٤٤، وقد رجح (د.فتحى) الرأي الأخير مبينا أنه أطلق على مملكة الجنوب بعد انفصال مملكة الشمال وظل هذا الإطلاق إلى أن سبى الأسباط العشرة (وهو ما يعرف بالسبي الآشوري ولم يبق إلا مملكة يهوذا بعد اختفاء مملكة الشمال ومن ثم حل اسم يهودي محل عبري للدلالة على نسل إبراهيم وأصبح لفظ يهودي اسم جنس يطلق على كل أفراد الشعب.

وهذا يعني أن تسمية اليهود جاءت متأخرة عن زمن سيدنا موسى عليه السلام وأنها لم تطلق في عصره.

ومن ثم فإن مصطلح اليهودية - الذي تسمى به الديانة الإسرائيلية بوضعها الحالي هي غير الدين الذي جاء به موسى عليه السلام، فدينه هو الإسلام. (راجع: الدكتور فتحى الزغبى: تأثر اليهودية بالأديان القديمة (رسالة دكتوراة ص ٤٧- ٥٥٥ كلية أصول الدين بطنطا سنة ١٩٨٧م).

(٢) راجع في تفصيل هذا المصدر السابق من ص ٤١٣ إلى ص ٤٥٠ وراجع أيضا.........=

الحياة اليهودية، مثل الأحكام المختصة بالأطعمة [١]، والأحكام المختصة بشريعة النذير، ذلك أنه كان يجب على النذير أو المنذور - وهو من ينذر نفسه لعبادة الله أو من ينذره والداه منذ ولادته وغالبا ما كان مدى الحياة - ألا يتعاطى الخمر، ولا الخل، ولا نقيع العنب، ولا يأكل العنب، ولا الزبيب، ولا يمر موسى فوق شعره، ولا يقرب ميتا، ويقدم التقدمات للرب من مواشٍ وخبز، وفطير وزيت[٢].

وكان بعض الآباء والأمهات ينذرون أبناءهم طيلة حياتهم مثل شمشمون [٣]، وصموئيل[٤] ويوحنا المعمدان [٥].

ويذكر الكاتب المسيحي جون لوريمر [٦] أن ما روى عن دانيال وصحبه [٧] في بلاط الملك نبوخذ نصر هو من الممارسات النسكية لدى اليهود.

فقد أصر دانيال وصحبه ألا يأكلوا من طعام الملك أو أن يشربوا من خمره، واختاروا طعاما بسيطا. يقول دانيال لرئيس السقاة: (جرب عبيدك عشرة أيام) فليعطونا القطاني [٨] لنأكل وماء لنشرب.. فكان رئيس السقاة يرفع أطايبهم وخمر مشروبهم ويعطيهم قطاني [٩].

* * *

=رسالة الماجستير لزميلنا د./ فتحى الزغبى والتى طبعت حديثا بعنوان: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص ٣٦٣ مطبعة غباش بطنطا ١٩٨٨م.

(١) راجع سفر اللاويين.

(٢) سفر العدد ٦: ٢ -١٢.

(٣) قضاة ١٣: ٥.

(٤) صموئيل ١: ١١.

(٥) لوقا ١: ١٥.

(٦) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣١.

(٧) يذكر سفر دانيال أنه رشح هو وثلاثة معه (حننيا - وميشائيل - وعزريا) للخدمة في قصر الملك نبوخذ نصر سنة ٦٠٥ ق. م).

(٨) القطني: ترجمة كلمة عبرانية بمعنى المزروعات، ويراد بالقطاني عند علماء العرب جميع الحبوب التى تطبخ كالعدس والفول واللوبيا والحمص (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٣٨).

(٩) دانيال ١: ١٢، ١٦.

طائفة الآسين «أو الأسينين»

أما طائفة الآسين (أو الأسينين) كما يسميها المؤرخون فهي طائفة يهودية نشأت منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وعاشت بعيدا عن مدينة أورشليم حيث انفردت بمساكنها حول شواطئ البحر الميت[١].

اختلف الباحثون حول اسم هذه الفرقة: أصله ومعناه.

والشائع بين العلماء أن الكلمة معناها «الأطباء» وأن أصلها، آرامي وهو كلمة «آسيا» بمعنى الطبيب والمداوي، أو كما تقول العرب «الآسي» وهى تفيد هذا المعنى في اللغة العربية التى تعد اللغة الآرامية أقرب اللغات السامية إليها[٢].

وعلى هذا الرأي يمكن تسمية هذه الفرقة بـ «الأساة».

والقائلون بهذا الرأي يعتمدون على ما سماهم به الفيلسوف اليهودي (فيلون السكندري) وهو يكتب عنهم باليونانية إذ دعاهم «ثيرابوتى ثيو» التى تعنى لأول وهلة «أطباء الله» ومع ذلك يبقي إشكال حول هذا التخريج وهو أن كلمة «ثيرابوتى» لها في اللغة اليونانية معنيان:

أولهما: الأطباء.

والثاني: الخدم أو الوصفاء[٣].

يقول العقاد: «ومن المعقول أن يسمى أصحاب هذا المذهب بالآسين لأنهم كانوا يتعاطون طب الروح ويدعون إبراء المرضى بالصلوات والأوراد، كما يدعون العلم بخصائص العقاقير»[٤]

---

(١) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٢٥.

(٢) العقاد: حياة المسيح ص ٤١ دار الهلال.

(٣) د./ حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٤) حياة المسيح ص ٤١ - ٤٢.

ومال بعض الباحثين إلى اشتقاق اسم هذه الفرقة من اللفظ اليوناني (أو سيوى) التى تستعمل بمعنى «القديسين» أو «الأبرار».

كما ربطها غيرهم باللفظة اليهودية القديمة «حسيا» أو «حسين» بمعنى «الأتقياء» وهذا التخريج مشكوك فيه لانعدام الوثائق الصريحة التى ترد فيها الكلمة بالمعنى المذكور في التراث اليهودي.

وهناك من يقول بإرجاعها إلى اللفظ اليوناني «حاشيا» أي الصامت الذي لا يتكلم وتكلف آخرون فأرادوا جعلها صيغة محرفة من «ساحيا» التى معناها نزل إلى الماء وسبح فيه. وبنوا على ذلك أن هذه الطائفة ربما كانت تعتقد دينيا في المعمودية أو الغطاس أو الطهارة بالاغتسال الكامل في الماء[(١)].

والرأي الأول هو الراجح لما سبق أن بينا.

والآسيون - كما جاء في موسوعة بلينيوس الكبير (٢٤-٧٩م) - هم جماعة من اليهود عاشوا في ساحل البحر الميت الغربي بعيدين عن وجوه المضر، وأنهم كانوا ميالين للوحدة غريبين في أمورهم، عاشوا بين أشجار النخيل بدون نساء، متحرزين من النقود، وعلى الرغم من هذا فإن عددهم لم يهبط لأن كثيرين ممن أتعبتهم الحياة انضموا إليهم [(٢)]

وعددهم - كما قدره المؤرخ اليهودي يوسيفوس مؤرخ القرن الأول بعد الميلاد (٣٧-١٠٠م) - لا يزيد على أربعة آلاف يعيش أكثرهم في جنوب فلسطين [(٣)] (في وادي القمران).

يقول جورج سارتون (الأسينيون فرقة يهودية منظمة على شكل أخوية أو رهبنة. وقد ازدهرت هذه الفرقة بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى العصور

---

(١) راجع كل هذه الآراء في: الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢٦٧.

(٢) د/ حسين عمر حمادة: مخطوطات البحر الميت ص ٤٦ دار منارات للنشر ط الأولى سنة ١٩٨٢م عمان.

(٣) حياة المسيح ص ٤١.

الميلادية الأولى، وكان نظامهم شيوعيا (أي كل شيء كانوا يملكونه كجماعة) وكانوا على جانب كبير من التقشف والزهد، وكانوا شغوفين بالمعرفة شغفا شديدا فأسسوا لهم مكتبة كبيرة. وقد أسس دير وادي قمران [١] حوالي سنة ١٣٦-١٠٦ قبل الميلاد، وظل مأهولا يقيم فيه الأسينيون حتى سنة ٦٨ بعد الميلاد)[٢].

أما عن أهم أفكارهم ومعتقداتهم [٣] فهي كما يلي:

(١) الاعتزال عن الناس والارتباط القائم بين أعضاء الجماعة بعهد مقدس، ويمين يحلفونه عند الدخول في الجماعة ثم لا يحلفون بعده يمينا أبدا.

(٢) كانوا يلبسون الثياب البيضاء ويحرصون على نظافتها ونظافة أجسامهم والظهور بمظهر طيب، وكانوا يهتمون بتهذيب شعر الرأس واللحية والتطهير بالاغتسال والغطاس في الماء.

لذلك يقول عنهم يوسيفوس (وكان الرجل منهم يلبس ثيابا من نسيج التيل الأبيض ويحمل معه فأسا صغيرة ليغطى بها فضلاته ويغتسل بعدها كما يغتسل البراهمة ويرى أن التبرز في يوم السبت من أعظم الكبائر)[٤].

(٣) المعيشة الجماعية في دار عامة للطائفة بعيدا عن الناس يتولى كل واحد منهم فيها مهمة من مهام الحياة اليومية من زراعة أو صناعة أو طبخ أو تنظيف أو تعليم أو تأليف وكانوا يعيشون حياة شبيهة بحياة الأديرة المسيحية.

وكان لهم تنظيم داخلي، ففي كل دار من دورهم التي يعيشون فيها هذه

---

(١) لم يكن هذا اسم الدير القديم إنما هذه التسمية حديثة العهد بناء على أن المكان الذي وجدت فيه آثار الدير يعرف الآن بوادي قمران.

(٢) جورج سارتون: تاريخ العلم جـ٥ ص ٥٣ ترجمة لفيف من العلماء، دار المعارف الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م.

(٣) الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢٦٧.

(٤) قصة الحضارة المجلد الثالث جـ ٣ ص ١٧٥.

الحياة الجماعية رئيس لهم يعظمونه ويطيعونه، ومن تحته كان كل فرد من أفراد الطائفة له مكان في الترتيب الهرمي لمجتمعهم لا يتعداه حتى ولو بالكلام.

(٤) كانوا يحرمون في عبادتهم الذبيحة ويرون فيها لونا قاسيًا من سفك الدماء مخالفين في ذلك أكثر فرق اليهود.

وكانوا أيضا يمتنعون عن أكل اللحوم وعن إسالة الدماء وكانوا نباتيين ملتزمين بذلك في حياتهم اليومية.

ولقد سبق أن بينا أن بعض الهنود كانوا يعتقدون بمثل هذا، لذلك رأى بعض الباحثين أن الآسيين قد تأثروا في ذلك بشيء من الفلسفات الهندية القديمة.

يقول ول ديورانت «أو لعلهم قد تأثروا أيضا بآراء البراهمة والبوذيين والمجوس عبدة النار والفيثاغوريين والكلبيين[١] وهي جاءت إلى أورشليم ملتقى الطرق التجارية في غرب آسيا»[٢].

(٥) كانوا يأخذون أنفسهم بالتقشف والقناعة وكانوا يعيشون في زهد وتقشف شديدين.

---

(١) الكلبيون مدرسة انتسنانس (٤٤٤- ٣٦٨ق. م) الذي ولد في أثينا وتتلمذ لـ «غور غياس» (٤٨٠- ٣٧٥ ق. م) ولذلك نشأ على السفسطة ثم عرف سقراط ولزمه وبعد وفاة سقراط أخذ يعلم، وكان يجتمع بتلاميذه في مكان اسمه «الكلب السريع» فأطلق عليهم اسم «الكلبيين» ولعل هذا الاسم لحقهم بالأكثر لسماجتهم وغرابة أطوارهم، فقد كان انتستانس معجبا بتواضع سقراط وبساطة معيشته وحرية قوله فأسرف في محاكاته وأسرف تلاميذه والكلبيون تقوم تعاليمهم على احتقار الموضوعات الاجتماعية والزهد في اللذات وعلى التزام قانون الطبيعة، والقول بأن الفضيلة هي الخير الوحيد، ولذلك كانوا يشترطون للانضمام إلى زمرتهم أن يعدل المريد عن خيرات الدنيا وأن ينزل عن مكانته الاجتماعية فيلبس لبس عامة الشعب ويرسل شعر الرأس واللحية (راجع يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٩ - ٢١٢).

(٢) قصة الحضارة مجلد ٣ جـ٣ ص ١٧٤.

«والمادة عندهم مصدر الشرور كلها، والسرور بها سرور بالدنس والخيانة»[١]

ويقال عنهم: إنهم كانوا يحرمون على أنفسهم الزواج.

يقول يوسيفيوس في كتاب (حرب اليهود) (إن الآسينيين ولدوا يهودا وتحابوا أكثر من غيرهم وأنهم اعتبروا لذات الجسد شرورا وذنوبا، واعتزوا بالعفة، والتعفف، وجعلوا من التغلب على الشهوات فضيلة. وهم يهملون الزواج وينتقون من أولاد غيرهم الذكور من يعتبرونهم منهم فيقبلونهم صغارا ذوى قابلية للتعلم ويطبعونهم بطبائعهم، وهم يحتقرون الثروة والغنى ويميلون للتآلف والمشاركة) [٢].

هذه هي اهم مبادىء طائفة الاسينيين :

والخلاصة: أن الآسينيين انتهجوا حياة الرهبنة والتخلي عن مطالب الدنيا والمبالغة في الاغتسال مرارا عديدة كل يوم، وكانوا في الغالب يمتنعون عن الزواج، ويعيشون فيما بينهم حياة مشتركة مكتفين في غذائهم بالأغذية النباتية، ممتنعين عن أكل اللحوم لأنهم كانوا يكرهون سفك دم الحيوان حتى إنهم كانوا لا يدخلون هيكل أورشليم بسبب ما كان الكهنة يذبحون فيه من ذبائح [٣] وقد تأثروا في هذه العادة بالبراهمة وبعض الفلسفات الأخرى.

وهذا نموذج واضح للرهبنة اليهودية قبل ظهور المسيحية.

طائفة الثيرابيوتى «المتنطسين» في مصر:

وكان جماعة من اليهود الذين يعيشون في مصر قد اعتزلوا العالم - رجالا ونساء - وهجروا المجتمع وما فيه من روابط اجتماعية وعاشوا حياة زاهدة وابتعدوا عن مباهج الحياة الدنيا.

يقول العقاد عن هذه الطائفة (وخرجت من مصر أيضا نحلة قوية على قلة

---

(١) حياة المسيح ص ٤٣. (٢) مخطوطات البحر الميت ص ٤٦.

(٣) راجع زكى شنودة: المجتمع اليهودي ص ٣١١ مكتبة الخانجي.

عدد المنتمين إليها وهي نحلة المتنسطين (Theurapeuticy) التى ذكرها الحكيم الإسكندرى (فيلون) وقال: إن أتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد. واسمهم اليوناني معناه الآساه أو المتنطسون وأكثر صوامعهم كانت على مقربة من الإسكندرية حول مريوط القديمة، ويظن بعض المؤرخين أن هؤلاء المتنطسين هم أساتذة النساك اليهود الذين يسمون الآسين، أو بالاسينيين[١].

وقال عنهم «فيلون» إنهم يبدءون بالصلاة عند الفجر ثم يمضون يومهم بالتأمل في التوراة ثم يختمونه بالصلاة عند المساء، وقد عرف عنهم مداومة الصلاة، ويجتمعون أيام السبوت للعبادة معا داخل معبد عام يقع وسط منازلهم أو أكواخهم. كما اعتادوا الاحتفال بيوم الفصح فيجلسون على الأرض الجرداء إذلالا للجسد مع تناول طعامهم من الخبز والملح. ثم يقوم بعض من أفرادهم بترنيمات وتختتم ببعض الرقصات.

ومما لوحظ بين تلك الفئة من النساك اشتراك بعض من العذارى والعجائز معهم أثناء تأدية طقوسهم الدينية [٢].

وكانوا أيضا يمسكون عن شرب الخمر وأكل اللحم[٣].

فالمتنطسون جماعة من يهود الإسكندرية اتخذوا من قومهم مكانا قصيا حول بحيرة مريوط وانقطعوا للتعبد والرهبانية.

هذه هي أهم مظاهر الرهبانية عند بعض الجماعات اليهودية.

* * *

---

(١) حياة المسيح ص ٦٣.
(٢) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٢٦.
(٣) د./ مصطفى العبادى: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٣٣٤.

رابعا- الرهبانية في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة

والأفلاطونية الحديثة يمكن تعريفها بأنها محاولة لوضع فلسفة دينية، أو دين مفلسف وهو مذهب قام على أصول أفلاطونية، وتمثل عناصر من جميع المذاهب، فلسفية ودينية، يونانية، وشرقية، بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة غير أن رجاله حرصوا على الاحتفاظ بالروح اليوناني خالصا[١].

وقد ظهرت هذه المدرسة في الإسكندرية ملتقى طرق الشرق والغرب، ففيها كانت توجد مؤثرات دينية فارسية، وبابلية، وبقايا الشعائر المصرية القديمة، وطائفة يهودية قوية تمارس عقيدتها الخاصة، وفرق مسيحية، يضاف إلى هذا كله خلفية عامة من الحضارة الهلينستية[٢].

مؤسس هذه المدرسة «أمونيوس ساكاس» (١٧٥ - ٢٥٠م) ولكنه لا يعرف عنه إلا القليل فلم يدون آراءه ولم يصلنا تفاصيلها، حيث إنه كان يفرض على تلاميذه كتمان تعاليمه تقليدا للأسرار اليونانية [٣].

وأهم تلاميذه «أفلوطين» (٢٠٤ - ٢٧٠م) الذي ولد في مصر ودرس في الإسكندرية حيث عاش حتى عام ٢٤٣م.

يقول ول ديورانت -عن أفلوطين - «**كان يعيش معيشة القديسين وسط ترف روما ورذائلها فلم يكن يعنى بجسمه بل إنه كان يستحى أن يكون لروحه جسد، ومن الأدلة الناطقة باحتقار جسده أنه أبى أن يقف أمام المصورين بحجة أن جسمه أقل أجزائه شأنا، وحرم على نفسه اللحم، ولم يأكل من الخبز إلا قليلا، وكان بسيطا في عاداته، ابتعد عن كل العلاقات الجنسية وإن لم يذمها**» [٤].

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٥.
(٢) برتراند رسل: حكمة الغرب جـ١ ص ٢٢٦ (سلسلة عالم المعرفة).
(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٦.
(٤) قصة الحضارة مجلد ٣ جـ٣ ص ٣٠٠.

ويقول ريكس وورنر: «كان أفلوطين يريد أن يقول بكل تأكيد إن المادة - وهي الجسم في الكائنات البشرية - شر وعلة للشر»[(١)].

أما عن أهم مبادئ الأفلاطونية الحديثة - والتي تتعلق بموضوع بحثنا - فهي كما يلي:

(١) الدعوة إلى التحرير من عبودية الجسد بالحياة النسكية التقشفية.

(٢) مراعاة الجانب التأملي في الحياة، والمناداة بأنه إذا تطهرت الروح من النزعات العالمية وسمت عن الدنياويات أمكنها أن تصل - في نظرهم - إلى درجة من الروحانية النورانية إلى التأمل في الله.

(٣) لن تتحرر الروح عن الملذات المادية والنزوات الدنيوية إلا عن طريق التقشف وإذلال الجسد والاعتزال عن العالم ومباهجه والزهد فيه[(٢)].

فالأفلاطونية الحديثة دعت إلى التحرر من الجسد ولا يكون هذا - في نظرهم - إلا باعتزال العالم والتنسك والتقشف.

وبعـد...

فهذا عرض تاريخي للرهبانية قبل المسيحية، ويظهر منه أن الرهبانية كانت منتشرة بين الشعوب القديمة قبل ظهور المسيحية.

* * *

(١) ريكس وورنر: فلاسفة الإغريق ص ٢٧٧ ترجمة عبد الحميد سليم ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

(٢) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٣٢.

الفصل الثاني

الرهبانية المسيحية نشأتها وتطورها

أولا - التعريف بالديانة المسيحية

المقصود بالمسيحية:

لقب «المسيحية» لم يطلق على الذين اتبعوا المسيح عليه السلام، وإنما أطلق لأول مرة في تاريخ هذه الديانة على الذين اتبعوا بولس من الوثنيين.

ذلك أن بولس حين ادعى أن المسيح ظهر له - وهو ادعاء غير صحيح كما سنبين فيما بعد - بدأ يدعو بأفكار وتعاليم وعقائد لم يقل بها المسيح، ولم يدع إليها.

وبين قوم لم يبعث إليهم المسيح عليه السلام.

وحين اتبعه بعض الوثنيين من اليونانيين والرومانيين وغيرهم - من الذين كانوا يعيشون في أنطاكية- دعوا بالمسيحيين، أي: أتباع «المسيح»[1] وهذا اللقب يعني في اليونانية - وهؤلاء كانوا يتكلمون اليونانية ولا يعرفون العبرية ولا الآرامية - «المخلص» وهذا يعني أن بولس حين دعاهم لم يدعهم إلى الإيمان برسالة «عيسى ابن مريم» وإنما دعاهم إلى الإيمان بالمسيح ابن الله المخلص [2].

يقول سفر أعمال الرسل (ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول، ولما وجده جاء به إلى أنطاكية فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة، وعلما

(١) أصل لقب (مسيح) في العبرية يعني الممسوح بالزيت والدهن، وكان يطلق لدى بني إسرائيل على الأنبياء والملوك والكهنة فلقد أطلق على شاؤل (راجع: صموئيل الأول ١٠: ١)، وداود (راجع صموئيل الثاني ٥: ١-٢) وغيرهما، راجع رسالة الماجستير للمؤلف وهي بعنوان: (الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه ص ٢٧٦ - ٢٨٠).

(٢) ويدل على هذا أن بولس في بداية تبشيره بالمسيح كانت أول جملة نطقها هي أن المسيح ابن الله يقول سفر أعمال الرسل (وللوقت جعل يكرر - يبشر - في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله) أعمال ٩: ٢٠ لمزيد من المعلومات راجع رسالة الدكتوراة للمؤلف (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية).

جمعا غفيرا، ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا)[١].

فلقب «مسيحي» ظهر في أنطاكية أولا بعيدا عن المجتمع الذي عاش وبشر فيه المسيح، وبعيدا أيضا عن المجتمع الذي عاش فيه أتباع المسيح المخلصون، وظهوره كان مقرونا بدعوة بولس فيها [٢].

وهذا يعنى أن المسيحية ليست دين المسيح عليه السلام وإنما هي دين بولس ومن تبعه خاصة إذا علمنا أنه كان يدعو إلى أن المسيح عليه السلام هو ابن الله الـمُخَلِّص.

أما دين المسيح عليه السلام فهو الإسلام الذي هو دين الأنبياء والرسل جميعا.

المسيح ورسالته

بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد الله وتنزيهه، بدلا من الاتجاه إلى التجسيم والتشبيه، وإلى إصلاح القلب بدلا من الأخذ بالمظاهر والأشكال. وكان يحث على الإيمان باليوم الآخر واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا. هذا إلى جانب أنه جاء مبشرا بسيدنا محمد ﷺ. ولكن دعوته لم ترق في أعينهم - إلا القليل منهم - لأن منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد يتجهون إلى الأشكال والمظاهر منها دون الاتجاه إلى لبها وغايتها[٣] حتى كان منهم من يحجم عن عمل الخير في يوم السبت[٤] زاعما أنه داخل في عموم النهى [٥].

---

(١) أعمال ١١: ٢٥، ٢٦.

(٢) راجع الباحث المسيحي: يوسف الحداد: فلسفة المسيحية في رسائل بولس جـ١ ص٧٩.

(٣) راجع لوقا ١١: ٣٧ - ٤١.

(٤) راجع مرقس ٢: ٢٣ - ٢٨، متى ١٢: ١- ٨، لوقا ٦: ١ - ٥.

(٥) راجع الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٢٦ ط دار الفكر العربي الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٧ هـ سنة ١٩٧٧م.

هذا إلى جانب أن دعوته لم تحقق لهم ما كانوا يحلمون به من ملك مادي وسيطرة على الشعوب واستعباد للبشر. ولذلك ناصبوه العداء ووقفوا في وجه دعوته عليه السلام.

وقد أوضح رولاند بينتون - أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة بيل الأمريكية - روح العداء والكراهية التي سيطرت على اليهود تجاه دعوة المسيح فقال: (فقد أبغضه رجال الدين لأنه هزأ بقوانينهم التعسفية الجامدة)[١].

أما عامة الشعب فقد تركوه لأنه لم يستخدم قوته المعجزية ليطرد جنود الرومان الذين استعمروا فلسطين سيما وأن اليهود كانوا يؤمنون أن الله سيرسل لهم «المسيا» ليخلصهم - والمسيا يعنى المخلص- والخلاص في نظر اليهود كان سياسيا بمعنى أنه يخلصهم من الوهدة السياسية ومن سيطرة الرومان وغيرهم من الشعوب عليهم.

أما الأغنياء فقد خافوه لأسباب تختلف عن هذه، فلم يهمهم أمر السبت، ولم يريدوا حربا ضد المستعمر الروماني، ولكنهم غضبوا منه لأجل ما عمله في الهيكل عندما طرد باعة الحمام، وقلب موائد الصيارف وطرد الأبقار والأغنام التى أحضرها الكهنة والأغنياء للتجارة فيها[٢]. إذ كانوا يبيعون الذبائح للقادمين من بلاد بعيدة بأسعار خيالية، وقد غضب الأغنياء حين حرمهم من المكاسب الكثيرة التى كانوا يحصلون عليها مستغلين الشعب الذي جاء للعبادة[٣].

وناصبوا المسيح عليه السلام العداء أيضا لأنه جاء يصحح لهم العقائد والتعاليم التى حرفوها في ديانة موسى عليه السلام.

---

(١) راجع لوقا ١١: ٣٧.

(٢) راجع مرقس ١١: ١٥ -١٨، متى ٢١: ١٢ -١٧، لوقا ١٩: ٤٥-٤٨، يوحنا ٢: ١٣-٢٢.

(٣) رولاند بينتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٧ ترجمة عبد النور ميخائيل: الطبعة الثانية. دار الثقافة المسيحية.

فقد حرفوا التوراة [١]، وحرفوا بعض عقائدهم إذ حرفوا عقيدتهم في الإله[٢] وصوروه في صورة مجسمة، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل [٣] ووصفوه بما لا يليق فهو يتعب ويستريح[٤]، وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بذات الله.

- وحرفوا عقيدتهم في اليوم الآخر.
- وحرفوا البشارات بنبي الإسلام التى وردت في توراة موسى عليه السلام.

لذلك عمل المسيح على تصحيح العقائد المحرفة والتعاليم الدخيلة في ديانة موسى عليه السلام ولكن هذا لم يعجب اليهود؛ لأن التصحيح يعنى فضحهم وفضح تحريفهم لتوراتهم ولعقائدهم [٥] ولذلك عملوا بكل ما أوتوا من قوة على معاكسته ومناوءته.

ولما لم تؤت هذه المشاغبات ثمارها افتروا عليه عند السلطات الرومانية الحاكمة (وابتدءوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا: إنه هو مسيح ملك)[٦].

(وكانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهود مبتدئا من الجليل إلى هنا)[٧].

---

(١) راجع: سبيوزا: رسالة اللاهوت والسياسة ص ٢٥٥ ترجمة د/ حسن حنفى. مراجعة د/ فؤاد زكريا، الطبعة الثانية دار الطليعة سنة ١٩٧١م، القرطبي: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٨٨، د/ فتحى الزغبى: تأثر اليهودية بالأديان القديمة الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٢) راجع د/ أحمد شلبي: اليهودية ص ١٨٠، وتأثر اليهودية بالأديان القديمة الفصل الثالث من الباب الثاني، د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٥.

(٣) انظر مثلا تكوين ٣: ٨ - ١٠ ووصفهم الله سبحانه وتعالى كأنه يسير في الجنة وأن لسيره صوتًا وأنه كان لا يعرف مكان آدم.

(٤) تكوين ٢: ٣.

(٥) راجع رسالتنا للدكتوراه: (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية) الباب الأول، الفصل الثاني، والثالث.

(٦) لوقا ٢٣: ٢. (٧) لوقا ٢٣: ٥.

ونتيجة لهذه الأقاويل أصدر الوالي الروماني حكما بالقبض عليه وإعدامه صلبا ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيديهم ورفعه إليه.

يقول الله تعالى - عن اليهود - ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء :١٥٦-١٥٨] .

يقول د. بركات دويدار (وإن نهاية المسيح بمحاولة صلبه - لولا أن نجاه الله - لتدل دلالة قاطعة على الجو العدائى الذي كان يعيش فيه، ومقدار المؤامرات التى كانت تحاك ضده)[١].

واستمرت عملية الاضطهاد بعد المسيح عليه السلام لأتباعه، «ولم تهدأ بل زادت بحيث يمكن القول بأن أشنع أنواع التعذيب والوحشية قد جرت فيهم»[٢].

وذلك راجع أيضا إلى أن اليهود كانوا يحاولون القضاء على أتباع المسيح المخلصين الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله لأن الخطر - في نظرهم - ما زال قائما بوجود هؤلاء ومعهم الإنجيل المنزل من عند الله. فالمعركة بالنسبة لليهود لم تنته برفع المسيح.

ولذلك عملوا بكل جهدهم على اضطهاد هؤلاء الأتباع وأيضا على إضاعة إنجيل المسيح الذي يفضحهم ويشيع عنهم التحريف بكل صوره وألوانه، أو إبادته من الوجود بطريق أو بآخر حتى لا ينكشف أمرهم وينفضح تحريفهم.

وظلت الأمور على ما هي عليها - اضطهاد من اليهود لأتباع المسيح

---

(١) د/ بركات دويدار: الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها ص ٢١١، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م.

(٢) ١٢٩ المرجع السابق نفس الصفحة.

واستبسال وصمود من المخلصين - حتى ادعى بولس إيمانه بالمسيح وهنا انقلبت الموازين وتبدلت الأمور وتغيرت الأحوال، وأخذت الديانة صورة جديدة وطورا جديدا ودعت إلى عقائد وتعاليم جديدة.

بولس وديانته:(١)

لقد أكدت المصادر المسيحية وغير المسيحية تأكيدا قاطعا على أن بولس لم يكن تلميذا من تلاميذ المسيح، فلم يلتق به مدة حياته، ولم يتتلمذ على يديه، ولم يتلق منه أي تعاليم. هذا إلى جانب أنه لم يلتق بأي تلميذ من تلاميذ المسيح في فترته التبشيرية الأولى.

هذا وقد أشارت الأناجيل المسيحية على أن بولس كان من ألد أعداء أتباع المسيح، وكان من أكبر قادة الاضطهاد ضدهم، إذ كان يكيل لهم البطش والتنكيل وشهدت الأناجيل بهذا، واعترف هو نفسه بذلك فقال:

«واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء كما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة»(٢).

اعترف بأنه كان من أكبر المضطهدين لأتباع المسيح وأنه أفرط في تعقبهم واضطهادهم وأنه كان قاسيا لدرجة أنه لم يترك رجلا أو امرأة إلا وسلمهم للسجون ولكنه تحول فجأة وبدون مقدمات وادعى أن المسيح ظهر له ودعاه إلى اتباعه وأمره بأن يدعو إلى رسالته.

والواقع أن هذا ادعاء لا أساس له من الصحة وذلك لما يأتي:

أولا: رويت حادثة ادعاء ظهور المسيح لبولس في سفر أعمال الرسل بثلاث روايات (٣):

---

(١) راجع رسالتنا للدكتوراه: (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية) فقد عقدت فيها فصلا كاملا عن بولس ونشاطه قبل ادعائه اتباع المسيح وبعده (الباب الأول: الفصل الثالث).

(٢) أعمال الرسل ٢٢: ٤، ٥ راجع أيضا أعمال ٢٦: ٩-١١، غلاطية ١: ١٣.

(٣) أعمال ٩: ١-٩، ٢٢: ٦-١١، ٢٦: ١٣ -١٧.

الأولى: على لسان لوقا، والثانية والثالثة: يرويها لوقا على لسان بولس.

والواقع أن بين هذه الروايات اختلافا لا يقبل الجمع بينهما وذلك كما يلي:

أ - تبين الرواية الأولى أن المسافرين الذين كانوا مع بولس سمعوا الصوت ولم ينظروا النور ووقفوا صامتين.

بينما تبين الرواية الثانية أنهم لم يسمعوا الصوت ولكنهم نظروا النور.

أما الرواية الثالثة فتشير إلى أنهم نظروا النور وسقطوا على الأرض.

ب - يلاحظ من الرواية الأولى والثانية أن المسيح أمر بولس بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة.

أما الرواية الثالثة فتوضح أن المسيح أعطى بولس الرسالة فورا - وقت ظهوره له - مع وعد بإنقاذه من اليهود والشعوب الأخرى.

والاختلاف يعنى أن واحدة من هذه الروايات هي التى تحتمل أنها صحيحة والأخرى ليست كذلك ولا سبيل إلى تحديد الصحيحة من غيرها.

إذًا فالروايات كلها باطلة، لأن علماء الأصول يقولون: إن الدليل إذا تطرق إليه الشك والاحتمال سقط به الاستدلال.

ثانيا: تدعى إحدى روايات هذه الحادثة أن المسيح وعد بولس بأنه سينقذه من اليهود وغير اليهود.

تقول الرواية - على لسان المسيح - (منقذا إياك من الشعب - أي اليهود - ومن الأمم - غير اليهود - الذين أنا الآن أرسلك إليهم)[1]، بمعنى أنه سينقذه من أيدي اليهود وغيرهم حتى يموت ميتة طبيعية.

ولكن الواقع خلاف ذلك. إذ يذكر المؤرخون - بل والمسيحيون - أن

---

(١) أعمال الرسل ٢٦: ١٧.

نيرون قبض على بولس وعذبه كثيرا وأمر بقطع رأسه [١] فلم تتحقق نبوءة هذا الادعاء.

وهذا يعني اننا أمام أمرين لا ثالث لهما:

- إما أن المسيح وعد ولم يستطع أن يوفى بالوعد، وكذب على بولس، وهذا كفر بالمسيح وديانته.
- أو أن المسيح لم يعد بهذا والرواية كاذبة.

وبولس والمسيحيون لا يحبون أن يكون رسولهم - أو ابن الله كما يعتقدون - كذابا لذلك لا مناص من القول بأن الرواية كاذبة وأن بولس لم يحدث له هذا، ويكون هو الذي كذب على المسيحيين واحتال عليهم لترويج أفكاره ومعتقداته.

ثالثا: أن الروايات تذكر أن بولس كان معه بعض المسافرين الذين سمعوا ولم ينظروا - أو نظروا ولم يسمعوا - لماذا لم تذكر لنا الروايات أسماءهم وصفاتهم، وشهادتهم، وحالهم بعد إعلان بولس وادعائه للواقعة؟

أن شهادة هؤلاء لو ذكرت لكان هؤلاء شهود إثبات لهذه الواقعة ولا يستطيع أحد أن ينكرها، خاصة وأنه لم يحضر أحد هذه الواقعة سواهم، وشهادتهم في الواقع تعتبر شهادة مَنْ شاهد وعاين وتكون أكبر دليل على حدوثها.

أما وأن هؤلاء لم تأت الروايات بأي ذكر عنهم فإننا نشك أن تكون هذه الواقعة حدثت!!!.

والواقع أن حدوث هذا الأمر لشخص كان مشهورا بالاضطهاد الشديد

---

(١) راجع زكى شنودة: تاريخ الأقباط جـ ١ ص ٧٨، بطرس الجميل ومجموعة الأساقفة: كتاب السنسكار جـ٢ ص ٣٩٦ الطبعة الثانية مكتبة المحبة سنة ١٩٧٨ م، دونالد ددلى: حضارة روما ص ٣٨٠ ترجمة جميل يواقيم الذهبى، فاروق فريد دار نهضة مصر.

لأتباع المسيح، لو كان قد شهده أناس لكان مثار حديث الجميع منهم، ولذهب الناس إلى هؤلاء الحاضرين لهذه الواقعة يسألونهم عن تفاصيلها، خاصة وأن ما وقع شيء غير معتاد ومألوف - وهو ظهور المسيح على هيئة نور ومعاتبته لبولس وتكليفه بحمل الرسالة - ولكن هذا لم يحدث ولم نسمع عنه من خلال الأسفار التى كتبها المسيحيون، والجدير بالذكر أن هذه الواقعة لو حدثت وكان معه هؤلاء المسافرون والمشاهدون لها لما شك أتباع المسيح في بولس حين ذهب ليلتصق بهم ولما خافوا منه، ولذهبوا إلى هؤلاء المسافرين معه وسألوهم عما حدث لبولس أو لاستنجد بهم بولس وبشهادتهم!!

ولكن هذا لم يحدث.

كل الذي حدث أن برنابا هو الذي تشفع له عند التلاميذ، وذكر لهم كيف أن المسيح ظهر له.. إلى آخره؟

ولكن هل برنابا كان من هؤلاء المسافرين؟

الواقع أن الروايات لا تذكر عن ذلك شيئا.

يقول سفر أعمال الرسل: **«ولما تمت أيام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه - أي بولس - فعلم شاول بمكيدتهم وكانوا يراقبون الأبواب أيضا نهارا وليلا ليقتلوه فأخذه التلاميذ ليلا وأنزلوه من السور مدلين إياه في سل».**

«ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع. فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع، وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه»[١].

---

(١) أعمال ٩: ٢٣ - ٢٩.

والخلاصــة

أن رواية ظهور المسيح هي رواية ادعاها بولس وحده ولم يشهد بها أحد من المصاحبين له في السفر.

تبشير بولس بالمسيحية

وعلى أساس هذا الادعاء بدأ بولس يدعو بأفكار وتعاليم وعقائد لم يقل بها المسيح ولم يدع إليها ولم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد.

وأيضا لم يدع إليها أتباعه المخلصون.

فبدأ يدعو إلى أن المسيح هو ابن الله المخلص نزل من عند الله ليفدى البشرية ويخلصها من كل الآثام والذنوب والخطايا بصفة عامة، ومن خطيئة آدم والطبيعة البشرية الفاسدة الموروثة نتيجة لهذه الخطيئة بصفة خاصة [١].

ثم بعد ذلك بدأ يصف المسيح بصفات تتفق - في نظره - مع دعواه أهمها أنه ابن الله وأنه صلب وقام من قبره من أجل الفداء والخلاص.

ثم أشار على أتباعه بمزاولة بعض الشعائر مثل التعميد والعشاء الرباني وغيرهما وذلك لكي ينعموا في نظره - بهذا الخلاص[٢].

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل ذهب يقلل من شأن الناموس[٣] «شريعة موسى» بالرغم من أن المسيح ذكر لأتباعه في أكثر من مناسبة أنه لم يأت لينقض الناموس، ولقد روى المسيحيون هذا التأكيد في أناجيلهم.

يقول متى - حاكيا عن المسيح -: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس

---

(١) راجع للمؤلف رسالة الماجستير: (الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه).

(٢) راجع للمؤلف أيضا رسالة الدكتوراه: (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية)، الباب الأول، الفصل الثالث.

(٣) والناموس اسم يوناني الأصل ومعناه (شريعة أو قانون) والمراد به: شريعة موسى التى جاء بها من عند الله «في معنى الناموس راجع: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨».

والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات» [١].

وبالرغم من هذا دعا بولس إلى التخلي عن الناموس ونفى عنه أية إمكانية لتبرير [٢] الإنسان ونجاته ورسائل بولس مليئة بهذا.

يقول بولس: (جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة)[٣].

ويقول: (الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها)[٤].

ويقول: (لأنه إذا كان بالناموس بر فالمسيح إذًا مات بلا سبب)[٥]. إلى غير ذلك من الأقوال الدالة على فكرته.

ولذلك ألغى «الختان» بالرغم من أنه من شرائع موسى [٦] التى ما جاء المسيح ناقضا لها حتى إن المسيح نفسه اختتن. يقول لوقا: (ولما تمت ثمانية أيام ليختتن الصبي)[٧].

وتحدى بولس الجميع وقام بالدعوة إلى إلغاء الختان وتركه وقال: (وهكذا أنا آمر في جميع الكنائس، دعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف، دعى أحد في الغرلة فلا يختن، ليس الختان شيئا بل حفظ وصايا الله)[٨].

---

(١) متى ٥: ١٧- ١٩.

(٢) والتبرير - كما عرفة المسيحيون - عكس الدينونة ويعنى أن المسيحي ينال البر والنجاة ويصبح بارا بفضل إيمانه بيسوع المسيح (راجع: قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٩، الدين المسيحي للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١م ص ١٢١).

(٣) غلاطية ٣: ١٠.

(٤) غلاطية ٣: ١٣

(٥) غلاطية ٢:٢١.

(٦) يقول سفر اللاويين (وكلم الرب موسى قائلا: إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام... وفي اليوم الثامن يختتن لحم غرلته) لاويين ١٢: ١ -٣، راجع أيضا: سفر يشوع ٥: ٢.

(٧) لوقا ٢: ٢١.

(٨) رسالة كورنثوس الأولى ٧: ١٧- ١٩.

وكان يردد دائما: (ما هو نفع الختان)[١].

ويقول: (ها أنا بولس أقول لكم: أنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا)[٢].

لم يستق بولس هذه العقائد من تعاليم المسيح - كما سبق أن بينا - وإنما استقاها من مصادر أخرى.

وأغلب الباحثين يؤكدون أن بولس وقع تحت تأثير تيارات دينية وفلسفية وثنية هي التى كونت فكره وتعاليمه.

يقول الأستاذ أحمد عبد الوهاب: (يوجد إجماع بين الباحثين على أن هناك تشابها قويا بين المسيحية - مسيحية بولس - وبين غيرها من ديانات العالم الروماني التى كانت منتشرة آنذاك، وعاصرت مولد تلك الديانة الجديدة سواء من ناحية المعتقدات والأفكار أو نواحي العبادات والطقوس التى تعكس تلك المعتقدات)[٣].

وعلى هذا يتبين لنا مدى التغيير الذي أحدثه بولس في رسالة المسيح فهو يعتبر أول المحرفين لهذه الديانة، فقد أدخل فيها ما ليس منها، وبشر بعقائد وتعاليم لم يقلها المسيح، وسلك طرقا لم يشر إليها، وألغى شرائع وأضاف أخرى لم يوص بها المسيح عليه السلام.

فهو بلا شك أخرجها من نطاقها السماوي ووضع بدلها وثنيات الأديان الوثنية وخرافات الأديان الوضعية وأصبحت تسمى بالديانة المسيحية وهذه الديانة هي التى انتشرت وأصبحت هي الموجودة بين المسيحيين إلى الآن.

---

(١) رومية ٣: ١.
(٢) غلاطية ٥: ٢.
(٣) أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص ٧٨، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م.

وعليه فقد أصبح للعيان أن المسيحية الحالية إنما هي من تأليف بولس وتأسيسه فهو المؤسس الحقيقي لها.

يقول ولز: (إن كثيرا من الثقات العصريين يعتبرون بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية)[١].

ويقول مايكل هارت: (إن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة هو بولس وليس المسيح، وليس واضحا ما كان سيئول إليه أمر المسيحية لولا بولس) [٢].

فبولس وليس عيسى هو الذي بنى المسيحية وأقامها على النحو الذي هي عليه الآن.

وفي مؤتمر رجال الكنيسة الذي عقد في كلية جيرتون بكامبردج سنة ١٩١٨م طرح الشماس «ديان إنج» على أعضاء المؤتمر السؤال الآتى:

هل المسيح هو المؤسس للدين المسيحي؟

فلم يجب على هذا السؤال بنعم إلا رئيس الشمامسة المستر «فورد» أما الباقون فأجابوا «لا»[٣].

ويقول أتين جلسون: (إن بولس هو الذي أرسى القواعد التى أقيم عليها بناء الفكر المسيحي كله وأن المفكرين المسيحيين الذين جاءوا بعده لم يفعلوا شيئا أكثر من استخراج النتائج المترتبة على هذه القواعد[٤].

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الثالث)، ص ٧٠٥.

(٢) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، ص ٢٤، ترجمة أنيس منصور، المكتب المصرى الحديث، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م.

(٣) راجع تقارير هذا المؤتمر كاملة في كتاب: خواجا أفندي كمال الدين – زعيم المبشرين السنيين بانجلترا سابقا –، ينابيع المسيحية ص ٥٩ – ٦٠، ترجمة إسماعيل البارودى، طبعة سنة ١٩٢٩م.

(٤) أتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى جـ ١ ص ٢٦ عرض وتعليق د./ إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الثانية، دار الثقافة للطباعة والنشر سنة ١٩٧٤م.

ثانيا - «الرهبانية المسيحية» نشأتها وتطورها

نشأة الرهبانية المسيحية:

يذكر المسيحيون أن الرهبنة كانت لها مكانة ملحوظة في الحياة الدينية المسيحية، وأنها لعبت دورا بارزا في تاريخ الكنيسة.

يقول د. / جوزيف نسيم يوسف: (إن الرهبنة بأشكالها المتعددة لعبت دورا قياديا في تاريخ الكنيسة المسيحية اعتبارا من القرن الثالث فصاعدا، وكانت الصوامع والقلالى هي مراكز الثقافة في العصور المظلمة، فمنها خرجت بعثات التبشير بالمسيحية، وعلى يد نزلائها تطورت الحياة الروحية التصوفية التى تركت أعمق الأثر على العقيدة)[١]

وسوف نشير فيما بعد إلى مصداقية هذا.

ويذكر المؤرخون المسيحيون أن حياة الرهبانية - بوضعها المنظم ومبادئها[٢] - ظهرت لأول مرة في تاريخ المسيحية في مصر، وأن أنطونيوس (٢٥١ - ٣٥٦م) هو مبدع الرهبانية [٣] والمنشئ الحقيقي للنظام الرهبانى [٤] وبالتالي الباعث على هذا اللون من الحياة الدينية في سائر البلاد المسيحية [٥]، ولذلك يمكن القول أن مصر هي التى قدمت إلى دنيا المسيحية هذا الأسلوب في الزهد والنسكية [٦].

(١) د. / جوزيف يوسف: دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ٩٤ مؤسسة شباب الإسكندرية سنة ١٩٨٣م.

(٢) الأب متى المسكين: لمحة سريعة عن رهبنة مصر ص ١٢ مطبعة دير القديس أنبا مقار طبعة أولى سنة ١٩٨١م.

(٣) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٣.

(٤) حبيب سعيد: تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) ص ١٧٥.

(٥) د. / إبراهيم العدوى: المجتمع الأوربي في العصور الوسطى ص ٧٢.

(٦) همس: العالم البيزنطى ص ٦٢ (مقدمة د./ رأفت عبد الحميد) مكتبة سعيد رأفت سنة ١٩٧٦م.

يقول د/ عبد القادر أحمد اليوسف: (ظهرت الرهبنة كمؤسسة واضحة المعالم لأول مرة في البلاد المصرية في الجهات الصحراوية في القرن الرابع الميلادي، ومنها انتشرت بسرعة مذهلة إلى أرجاء العالم المسيحي) (١).

ويقول زكي شنودة: «**الرهبنة نظام بدأ يستهوى نفوس المسيحيين في مصر منذ الجيل الثالث للمسيح وقد توطدت نظمه وتقاليده وطقوسه على أيدي الرهبان الأوائل أنطونيوس وباخوميوس ومكاريوس وغيرهم ممن آثروا حياة العزلة والتبتل**»(٢).

غير أن المسيحيين يشيرون إلى أن هناك بعض الممارسات النسكية التى تعتبر بمثابة المقدمات التى مهدت للنظام الرهباني.

يذكر يوسابيوس القيصري (٣) - أب التاريخ الكنسي - «**أن حياة الزهد والتقشف بدأت بمصر حال دخول الديانة المسيحية فيها، وأن الذين استجابوا لمرقس عاشوا حياة الزهد الفلسفية المتطرفة**»(٤).

ويقول الأب متى المسكين: «**ومع بداية تأسيس الكنيسة القبطية في الإسكندرية ومصر قام بين اليهود المتنصرين ثم الأقباط نظام التبتل والعبادة المنفردة في خارج المدن، وبالأخص في ضواحي الإسكندرية حول بحيرة مريوط**»(٥).

كما ظهرت بعض الممارسات الزهدية في أماكن أخرى كما يذكر المسيحيون.

---

(١) الإبراطورية البيزنطية ص ١٨٧.

(٢) زكي شنودة: تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٨١ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨م.

(٣) يوسابيوس القيصري: أب التاريخ الكنسي عاش ما بين عامي (٢٦٠، ٣٤٠م) تقريبا، وهو أول مؤرخ للكنيسة المسيحية، وصديق الإمبراطور قسطنطين، ومحل ثقته، ولد بفلسطين وتنقلت به الأحوال حتى صار أسقفا لمدينة قيسارية سنة ٣١٤م. له عدة مؤلفات في التاريخ واللاهوت والعقيدة أهمها كتاب (تاريخ الكنيسة) وكتاب (حياة قسطنطين) الذي كتبه ليمتدح به الإمبراطور قسطنطين بعد موته سنة ٣٣٧م (راجع: د./ بيريل سمارى: المؤرخون في العصور الوسطى هامش ص ٤٤ ترجمة د./ قاسم عبده قاسم دار المعارف، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤م).

(٤) يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة ص ٨٩ مكتبة المحبة.

(٥) الأب متى المسكين: لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار ص ١٢.

يذكر جون لوريمر: أنه في أوائل تاريخ الكنيسة ظهر كثير من الأفراد والجماعات الذين يؤمنون بحياة التقشف والزهد.

من هؤلاء أتباع «ماركيون»[١]– وهو في نظر المسيحيين من الهراطقة الذين يجب مقاطعتهم – فقد كان له أتباع كثيرون، واستطاع أن يؤسس كنيسة ضمت في عضويتها كثيرين في أرجاء الإمبراطورية، كان طابعه التقشف، فلا خمر ولا لحم ولا معاشرة نساء ولا زواج.

ولقد قال ماركيون: «**إذا أنجبت أطفالا فإنك تكثر أتباع إله هذا العالم**» ولهذا كانت كنيسة ماركيون تنمو عن طريق من يدخلونها من الخارج وليس عن طريق تكاثر أعضائها طبيعيا. ولكن لا يعرف كثيرا طريقة الحياة داخل هؤلاء الجماعة فأعضاؤها تقوقعوا داخلها ولم يتركوا أية وثائق تعرف العالم بهم»[٢].

كذلك أيضا كانت حياة النسك منتشرة بين جماعة المونتانية [٣] – وهي في نظر المسيحيين من الهراطقة الخارجين عن الكنيسة – إذ كانوا يعتقدون بالامتناع عن الزواج وبزيادة أوقات الصيام والامتناع عن شرب الخمر والأطعمة الشهية [٤].

وأيضا جماعة المتحاربين المتجولين في شمال أفريقيا في القرن الرابع كانوا أيضا متقشفين – كما يذكر جون لوريمر –[٥].

---

(١) ولد ماركيون في مدينة سينوب التى تقع على الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود بآسيا الصغرى سنة ٨٥م، وهو في نظر المسيحيين من الهراطقة، ولذلك قطعته الكنيسة من عضويتها، وهاجمته مهاجمة شديدة لدرجة أن المسيحيين تمنوا لو لم يولد ماركيون (راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ ١ ص ١١٤ –١١٨).

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١١٤.

(٣) ظهرت هذه الجماعة في منتصف القرن الثاني في مدينة فريجية بآسيا الصغرى على يد (مونتانوس) (راجع: فجر المسيحية ص ١٢١).

(٤) راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ١ ص ١٢٠.

(٥) المرجع السابق جـ٢ ص ١٣٣.

هذا وقد ظهر إبان حكم أنطونيوس إنسان اسمه (فرونتون) الذي اعتزل الحياة وخرج إلى صحراء وادي النطرون وبصحبته جماعة من أتباعه حيث أسس أول ما عرف بالقلالى المسيحية[١].

ويذكر «كيرزون» في كتابه «أديرة الشرق» أن فكرة الرهبنة كانت موجودة في القرن الثاني للميلاد وأن «فرونتون» اعتزل الحياة بوادي النطرون في نحو عام ١٥٠م.

كما يذهب الأب «شينو» في كتابه «قديسو مصر» إلى أن هذا القديس هو أول من فكر في حياة العزلة بعيدا عن العمران، وأنه قد جر وراءه سبعين شخصا آخرين انطلقوا يتعبدون في البراري والقفار [٢].

ولكن هذه الجماعة تذمرت على قائدها لنقص الغذاء، وقلة المؤن التى تعود أحد أغنياء الإسكندرية أن يبعث بها إليهم فتفرقت واندثرت معالمها بموته [٣].

إلا أن الرهبنة لم تكن في تلك الأيام - كما يقول زكى شنودة - قد اتخذت بعد شكلها الذي عرفت به في الأجيال التالية، وإنما كان معتنقها يمسى ناسكا، وكان ينفرد بعيدا في الصحراء، ويبني له كوخا يسمى بالقلابة، أو يبحث عن فجوة في الجبل تسمى بالمغارة وينتهج في معيشته هناك النظام الذي يختاره لنفسه دونما نهج معين يلزمه [٤].

* * *

---

(١) اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ تلك الجماعة إذ هناك من الأباطرة من يحمل اسم أنطونيوس ثلاثة: الأول في سنة ١٥٠م، والثاني في عام ١٧٣م، والثالث في سنة ١٩٢م، والراجح أن تلك الحادثة كانت في عهد الأول - كما يقول د./ حكيم أمين - لإجماع المراجع على وفاة فرونتون سنة ١٧٣ (راجع دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٣).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٩٣.

الأسباب التي دعت إلى ظهور الرهبانية بين المسيحيين:

ذكر المؤرخون أن أسباب ذيوع النزعة الرهبانية بين المسيحيين متعددة، منها ما يعود إلى أسباب اقتصادية، ومنها ما يعود إلى أسباب دينية، ومنها ما يعود لفشل في الحياة أو للاضطهاد، أو للتظاهر بالزهد والتقوى والتشبه بحياة بعض القديسين سعيا وراء شهرة أو مكسب.

أولا: الأسباب الاقتصادية:

كانت الظروف الاقتصادية عاملا أساسيا من عوامل انتشار الرهبانية بين المسيحيين، فلقد فرضت الدولة الرومانية - وهي تعاني من متاعبها الاقتصادية - ضرائب باهظة، وكان هذا سببا في أن ترك الناس أراضيهم وأعمالهم وممتلكاتهم وهربوا إلى الصحراء؛ لأنهم عجزوا عن أن يدفعوا ما فرض عليهم، وأصبحت الضرائب عبئا ثقيلا زاده ثقلا قسوة جامعيها الذين كانوا يختارون من وجهاء المدن أو المناطق الأخرى بالإمبراطورية وهؤلاء عرفوا باسم (Curiales) حتى إن عددا كبيرا من صغار المزارعين تنازلوا عن أراضيهم لكبار الملاك من الأجانب وفضلوا ترك بيوتهم وأراضيهم وأولادهم ليحيوا حياة اللصوص، أو ليتركوا العالم بما فيه إلى حياة رهبانية توفر لهم الأمن رغم ما فيها من عيش على الكفاف[١].

يقول جون لوريمر: «ومع أنهم لم يصبحوا جميعهم رهبانا إلا أن ندرة فرص العمل في الأماكن المأهولة بالسكان شجعت كثيرين على أن يجربوا حياة الرهبنة في الصحراء وفي الجبال»[٢].

والواقع أن عادة الهروب من السلطات إلى الصحراء نتيجة العجز عن دفع الضرائب كانت أمرا عاديا لدى المصريين القدماء.

---

(١) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٦.

(٢) تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٣٤.

فلقد ذكر المؤرخون أن المصرى القديم كان قد ألف في ظروف الضيق أن يفر من المدينة أو القرية إلى الصحراء أو إلى أحراج المستنقعات، كان يفعل ذلك حين يعجز عن ضرائب الدولة المستحقة عليه، فكان يفر من وجه الحكومة خشية العقاب الشديد الذي يصيبه في هذه الظروف، وكان يطلق على مثل هذا الشخص لفظ الهارب أو المختفي (Anachoretes) في العصرين اليوناني والروماني [١].

وهذا يدل على أن المسيحية أخذت بداية الرهبانية من ظاهرة مصرية قديمة وهي الهروب إلى الصحراء نتيجة للظروف الاقتصادية.

وإذا كانت الضرائب الباهظة وفرضها على الناس في الإمبراطورية الرومانية سببا في اعتزال بعض المسيحيين الحياة وهروبهم إلى الصحراء، فإن القانون الذي أصدره (قسطنطين) بإعفاء غير المتزوجين من الضرائب، وإعفاء الرهبان من الخدمة العسكرية أغرى الكثيرين بالامتناع عن الزواج والذهاب إلى الأديرة[٢] بمعنى أن هذا كان سببا في رهبنة بعض المسيحيين.

تقول المؤرخة المسيحية (بتشر): **«وأول باعث على هذه الرهبنة هو القانون الذي وضعه قسطنطين سنة ٣٢٠م وفيه يعفى العزاب والذين بلا نسل من دفع الضرائب المفروضة على غيرهم، وهذا القانون حدا بالكثيرين من محبي النفس والمال إلى الامتناع عن الزواج بل ساعدهم على الشر والفساد، إذ جاء في فقرة أخرى منه أن اللقطاء يربون على نفقة الحكومة. ومنها أن الرهبان كانوا يعفون من الخدمة العسكرية في مدة حكم قسطنطين»**[٣].

ويتبين لنا من هذا أن الأحوال الاقتصادية كانت من الأسباب الواضحة لذيوع الرهبانية بين المسيحيين، وهذا يدل على أن الرهبنة المسيحية لم يكن

(١) د./ مصطفى العبادى: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٣٣٤.
(٢) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٧.
(٣) تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٦.

الباعث عليها الدين المسيحي، وأنها لم تكن مطلوبة من المسيحيين، وإنما تتدخل الظروف الاقتصادية لتجعلهم يترهبون إذ إنها كانت هربا من دفع الضرائب المقررة عليهم من قبل السلطات، وكانت أيضا حبا في المال - كما بينت بتشر -.

ثانيا: الاضطهاد:

لقد تعرض المسيحيون لأنواع من الاضطهاد والتعذيب على أيدي أباطرة الرومان، وبلغ الاضطهاد ذروته في أواخر عهد الإمبراطور دقلديانوس [(١)] (٢٨٤ - ٣٠٥) مما جعل بعض المسيحيين يفكرون في الهروب إلى الصحراء.

يقول د./ جوزيف نسيم يوسف: «إن حركة الاضطهادات التى صاحبت ظهور المسيحية والتي بلغت أشدها في عهد دقلديانوس كانت سببا في اضطرار الناس إلى الفرار إلى الوديان والقفار وإلى قمم الجبال وجوف الصحاري للتوحد والتعبد والتقشف»[(٢)].

وشهدت صحارى مصر من النطرون إلى طيبة جموعا هائلة من المسيحيين المصريين الذين فروا من الأباطرة الرومانيين.

يذكر د./ رأفت عبد الحميد أن الاضطهاد هذا كان هو السبب المباشر لنشأة هذا النسق من الحياة الزهدية [(٣)].

يقول د./ حكيم أمين: «وكان هذا الاضطهاد عاملا من عوامل انتشار الرهبانية»[(٤)].

---

(١) ولد دقلديانوس عام ٢٤٥م واعتلى عرش الإمبراطورية عام ٢٨٤م وفي عام ٣٠٥ اعتزل الحكم ومات عام ٣١٦م.

(٢) دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ٢٣٦ - ٢٣٧م.

(٣) د./ رأفت عبد الحميد: ملامح الشخصية المصرية في العصر المسيحي ص ٤١ - ٤٢ طبعة روز اليوسف سنة ١٩٧٣م.

(٤) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٤.

وقد ذكر الكتاب المسيحيون أسماء بعض الرهبان الذين هربوا إلى الصحراء نتيجة للاضطهاد.

روى ديونيسيوس - كما يقول الكاتب السابق - بطريك الإسكندرية سنة (٢٤٦ -٢٦٤م) أن القرن الثالث الميلادي شهد أعدادا كثيرة من المسيحيين تهرب من الاضطهاد الروماني، ومن هؤلاء أسقف مليج الذي هرب إلى الصحراء الشرقية ومعه امرأة ولم يعرف لهما خبر بعد ذلك)[(١)].

ويقول: «وكان الأنبا (بولا - أو بولس - الطيبي) واحدا من هؤلاء الذين هربوا إبان إحدى موجات الاضطهاد على الكنيسة على عهد الإمبراطور ديسيوس سنة ٢٥٠م»[(٢)].

ويقول سير هارولد إدريس بل: «وقد لجأ بولس من أهل طيبة مثله مثل غيره في بادئ الأمر إلى الاعتصام بالصحراء كملاذ للفرار من اضطهاد ديسيوس»[(٣)].

وقد نعى - إدريس بل - على المسيحيين لانتهاجهم هذا النهج مشيرا إلى أن النساك الأولين - أي في الديانة المصرية القديمة - قد يهولهم ويستولى عليهم الذعر والاشمئزاز لمجرد الفكرة بأنهم كانوا من الفارين الهاربين، وإنما كانوا على النقيض يذهبون لملاقاة العدو (وهو الشيطان) في موطنه ومستقره، فالصحراء منذ أقدم العصور - كانت في نظر المصريين القدماء تعتبر كوطن الأرواح الشريرة، ومنطقة نفوذ الإله (ست) عدو (أوزيريس) [(٤)].

وهكذا يتبين لنا أن المسيحيين حين تعرضوا لحملات الاضطهاد لم يجد كثيرون منهم بدا من الفرار من وجه الدولة والاختفاء في الصحراء والجبال. وعاب بعض المؤرخين على المسيحيين هذا مشيرا إلى أن المصريين الوثنيين كانوا أفضل بكثير من المسيحيين الهاربين.

---

(١) المرجع السابق ص ١٤. (٢) المرجع السابق ص ١٥.
(٣) الهلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ١٤٧م.
(٤) ١٨٦ المرجع السابق نفس الصفحة.

ويتصل بالاضطهاد أمر آخر - كان سباب من أسباب الرهبنة في نظر المسيحيين.

يقول المؤرخ المسيحي (جون لوريمر): «**إنه بعد انقطاع الاضطهاد نمت الحاجة اللاشعورية عند بعض المسيحيين إلى نوع من الاستشهاد - كما يسمونه - نظرا لما رأوه من تقدير واحترام لمن ماتوا شهداء ممن ظلوا أحياء بعد العذاب الذي قاسوه فقد نبتت الرهبنة من رغبة المسيحي في أن يكون شهيدا، وقد عرفت الرهبنة بأنها الشهادة الخضراء أو البيضاء التى حلت محل الشهادة الحمراء**»[(١)].

فالرهبنة في نظر هذا المؤرخ المسيحي تولدت لدى بعض المسيحيين حينما رأوا تقدير الناس لمن ماتوا نتيجة الاضطهاد والتعذيب، فرغبة منهم في نوال هذا التقدير والاحترام نزعوا إلى الرهبنة وهذا يعنى أن الأمر لا يتعلق بالدين بقدر ما يتعلق بالرغبة في مدح الناس لهم وتقديرهم.

ويتضح لنا من هذا كله أن الدوافع الاقتصادية والسياسية لها دخل كبير في قيام الرهبنة المسيحية وانتشارها.

ثالثا: عدم الرضى عن الكنيسة:

يعلل بعض المؤرخين ظاهرة التنسك لدى المسيحيين بأنها عبارة عن احتجاج على ما طرأ في العقيدة المسيحية من آراء دخيلة، وعلى انغماس بعض رجال الدين في شئون الدنيا، إذ بدت الرسالة الدينية عند البعض وكأنها دنيوية، لذا التجأ بعض الأفراد إلى العزلة في الصحارى أو على قمم الجبال، أو في المغارات والمقابر للانقطاع للتأمل والعبادة [(٢)].

وقد ذكر المسيحيون هذا السبب وأكدوا عليه.

يقول جون لوريمر: «**وكان السبب الثالث - لظهور الرهبنة وازدهارها - الإحساس**

---

(١) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٤.

(٢) د./ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٢، راجع أيضا قصة الحضارة مجلد ٣ جـ٣ ص ٣٩٠.

القوى في قلوب بعض الناس بأن الكنيسة فقدت القداسة والتكريس، وشعروا أن حياتهم الروحية لا يمكنها أن تنمو إلا بعيدا عن الأوساط الكنسية، وما عليهم إلا أن يتركوها ويذهبوا كأفراد إلى الصحراء ليحيوا فيها حياة القداسة، إنهم لم يعلنوا إنكارهم للكنيسة، ولكنهم بعملهم هذا أدانوها»[١].

فلقد أحس بعض المسيحيين بعدم الرضى عن الكنيسة لأنهم رأوا أن رجال الدين سيطرت عليهم الأهواء وأصبحوا رجال دنيا.

ويزيد هذا الأمر وضوحا الكاتب المسيحي حبيب سعيد فيقول: «وهناك عوامل أخرى أدت إلى ذيوع النزعة الرهبانية ألا وهي انسياب روح الفتور في حياة الكنيسة، بعد أن اتسعت دائرتها، ودخلها أناس من ذوى الميول الفاسدة، وقد رام بعض المسيحيين أن ينجوا بأنفسهم، ويسعوا إلى خلاصها بالاعتزال عن العالم، وإذلال رغبات الجسد، وكانت الفكرة السائدة أن المادة هي أصل كل الشرور، والجسد جزء من المادة، فلا مناص إذًا من قمعه وإذلاله، لكي تنطلق الروح من قيدها الجسماني - كما يعتقدون - إلى رحاب الهيام الروحي، لذلك اعتصم أولئك الزاهدون بالفقر والتحرر من مقتنياتهم، وارتداء الثياب الخشنة، والامتناع عن الطعام، إلا ما يسد الأود، وإرهاق أبدانهم بكل صنوف المشقات ونذر العفة المطلقة، وقد آمنوا في دواخل أنفسهم أن هذا هو الطريق الأمثل لبلوغ الكمال الإنساني»[٢].

والمقصود بقوله: «وكانت الفكرة السائدة أن المادة أصل كل الشرور. . .» أنها كانت الفكرة السائدة في المجتمع الوثني القديم، وفي الأديان الوثنية المنتشرة آنذاك.

ويوضح هذا المؤرخ المسيحي (أندرو ملر) فيقول: «وجود الشر في المادة كان هذا المبدأ أول مبادئ الأغنسطية بكل شعبها، وقد عم كل الأديان الشرقية، وكان هو

(١) تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥.
(٢) فجر المسيحية ص ١٧٤.

الأصل في تلك النظريات الخاصة بتكون العالم المادي وكل الكائنات المجسمة، وبمقتضى هذا المبدأ ابتدأ الناس يعتقدون أن أجسادهم أصلها شرير وفاسد فنزعوا إلى الزهد والتقشف وقمع الأجساد بواسطة التنكيل بها حتى تستطيع عقولهم وأرواحهم - التي اعتقدوا أنها طاهرة وإلهية - أن تتمتع بالتأمل في الأمور السماوية بأكثر حرية»[١].

ويظهر للقارئ من هذا كله أن الرهبنة قامت بين بعض المسيحيين بسبب انحراف الكنيسة وبعد رجال الدين عن تعاليم المسيحية ولذا اعتزلوا العالم وتركوا الكنيسة احتجاجًا على هذا الانحراف، هذا بالإضافة إلى أن الكنيسة - لم تعد في نظرهم - تشبع رغباتهم الروحية.

ولذا يقول (دوشيزن) كان الراهب نقدا حيا للمجتمع الكنسي.

وعندما أخبر أنطونيوس الرهبان - كما يقول جون لوريمر - بأن الكتب المقدسة كافية للتعليم كان بذلك يعلن أن الكنيسة فشلت في إشباع الحاجات الروحية.

لقد برهن أنطونيوس بانعزاله بالرهبنة على أن الكنيسة القائمة لم تعد المكان الذي يعيش فيه شخص يريد أن يحيا حياة مسيحية حقيقية.

وبرهن أيضا - كما يقول «فرند» في كتابه (الكنيسة القديمة): على أن الكتاب المقدس والصلاة الانفرادية والصوم أصبح لها الأفضلية على الحياة العامة والصلاة الجماعية والقيادة الكنسية [٢].

والواقع أن البحث هنا يفرض علينا عدة أسئلة:

- ما هو الانحراف الذي طرأ على الكنيسة والعقيدة المسيحية؟

- ولماذا فقدت الكنيسة القداسة في نظر هؤلاء الرهبان؟

- وما هو الفساد الذي لحق برجال الدين في القرن الرابع حتى يحتج

---

(١) أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة جـ ١ ص ٢٣٧ طبعة كنيسة الأخوة سنة ١٩٧١م.

(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٥.

عليهم هؤلاء النصارى بالعزلة في الصحارى؟

- ولماذا لم يقف هؤلاء الهاربون في وجه رجال الدين المنحرفين؟

- وهل كان مع رجال الدين من السلطان ما يمنع هؤلاء من الوقوف ضدهم؟

- وهل كانت لديهم القوة والمنعة التى تمنع هؤلاء النصارى من ردهم عن غيهم وفسادهم؟

إن المؤرخين المسيحيين لا يبينون ذلك.

ولكن يمكن أن نقول: إن القرن الرابع الميلادي شهد أحداثًا مؤثرة في الديانة المسيحية، فلقد نشأت المجامع المسيحية المسكونية وبدأت في تقرير العقائد الكنسية، وذلك حين دعا قسطنطين - الذي كان وثنيا على الأقل حينذاك [(١)]- إلى عقد مجمع مسكوني عام في مدينة نيقية عام ٣٢٥م. ثم اختار هو أيضا من بين الألفين والثمانية والأربعين أسقفا الذين حضروا إلى مقر الاجتماع، ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا فقط ليقرروا عقيدة ألوهية المسيح، وليضعوا دستور الإيمان المسيحي الذي يفرض على المسيحيين، والذي لا زالت جميع الكنائس تؤمن به إلى الآن.

وعلى هذا يمكن أن نقول: إن هذا الذي حدث من تقرير لألوهية المسيح ووضع لقانون الإيمان المسيحي هو من بين الانحرافات التى لحقت بالكنيسة والتي جعلت بعض المسيحيين يفزعون هربا إلى الصحارى تاركين الكنيسة ومعلنين الاحتجاج عليها بالفرار، خاصة وأن السلطان والقوة كانت مع الكنيسة ومع رجال الدين المسيحيين.

(١) ذلك أن قسطنطين لم يتقبل المعمودية إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٧م وهو العام الذي توفى فيه. (راجع هـ. أ.ل. فشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى (القسم الأول ص٦، ترجمة محمد مصطفى زياد، السيد الباز العريني. دار المعارف).

والواقع أن هذا الذي حدث - وهو خضوع رجال الدين والكنيسة لسيطرة الإمبراطور الروماني الذي كان وثنيا طمعا في السلطان والدنيا مما جعلهم يقررون ما تصبو إليه نفس قسطنطين رغم مخالفتها لما يؤمن به الكثيرون [١] - جعل هؤلاء يفكرون في صحة ما يقال من أن المادة هي أصل كل الشرور ولذلك نزعوا إلى الزهد والتقشف احتجاجا على هذا الانحراف وهذا يعني أنهم تركوا الكنيسة لا ليلتزموا بتعاليم الديانة النصرانية ولكن ليأخذوا بالأفكار السائدة في المجتمع الوثني الذي كان يعتبر أن المادة هي أصل كل الشرور والفساد، وهي التى تحول بين وصول الروح إلى التأمل وبلوغ الكمال، لذلك لابد من قمع المادة وإذلال الجسد حتى يمكن القضاء على هذه الشرور وتطلق الروح من قيودها - كما يعتقدون -»).

ولذلك وجدنا المؤرخ المسيحي (أندرو ملر) يقول: «إن مبدأ عدم زواج الأكليروس الذي تكون بعد ذلك الوقت، وكل نظام التنسك والرهبنة لا يرجعان إلى كلمة الله بل إلى الفلسفة الشرقية»[٢]. وسوف نبين هذا بالتفصيل عند الحديث عن أصل الرهبانية المسيحية.

هذه هي أهم الأسباب التى ذكرها المسيحيون والمؤرخون للرهبانية المسيحية.

مظاهر الرهبانية المسيحية:

اتخذت الرهبانية المسيحية ثلاثة مظاهر نشأت جميعها في مصر:

أولا: رهبنة المتوحدين:

ويتمثل هذا في سلوك الرهبان الذين يعيشون حياة انعزالية في الأكواخ

(١) ويتضح هذا إذا قيس عدد الذين قرروا عقيدة ألوهية المسيح وهم ٣١٨ أسقفا من عدد الحاضرين وهم ٢٠٤٨.

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة جـ١ ص ٢٣٧.

والكهوف والمغارات - أو القلالى يغلقونها على أنفسهم فلا يرون الناس ولا يراهم الناس - وبين الأشجار وحتى في المقابر.

ويطلق النصارى على هذا السلوك (التوحد) لأن الراهب يسكن منفردا، وعلى الرهبان في هذا النظام (الزهاد) لأنهم يعيشون في الخلوات والصوامع [١].

وقد بدأت الرهبنة بين المسيحيين بهذه الصورة - وكانت أول بدايتها بمصر كما سبق أن بينا - حيث خرج أفراد من المسيحيين من ديار أهلهم ويمموا شطر التلال البعيدة عن معالم العمران وانفرد كل منهم وحيدا متعبدا لله في كهف من الكهوف أو تحت سقف من السقوف[٢].

سارت الرهبنة إذًا في أول أمرها - كما يذكر المسيحيون - على نظام التوحد والانفراد حيث ينفرد الراهب في مغارة يقضى فيها حياته منعزلا عن البشر.

وقد أسس هذا النوع من الرهبانية (أنطونيوس) [٣] ولذا يعد رائد الرهبانية في مصر والعالم بشكلها التوحدى.

الثاني: الرهبنة الجماعية المشتركة (أو الديرية):

والديرية نظام عريق في القدم قد يصل في قدمه إلى ما قبل التاريخ، فقد وجدت دائما أقليات صغيرة من الرجال والنساء تجد في العزلة والتأمل الحالة التى تلائمها وتناسب طبيعتها، وقد وجد هذا النظام له بعض الأتباع في الشرق وفي وقت مبكر، ثم انتشر في بلاد الشرق وأصبح له كيان موطد

---

(١) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٨٣.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٨٧.

(٣) بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية. مراجعة لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسيا، طبعة ثانية (راجع المقدمة).

الأركان باقترانه بالديانة البوذية[١].

ثم بعد ذلك انتقل إلى الديانة المسيحية وانتشر انتشارا واسعا حيث يعيش جماعة من الرهبان بموجب أنظمة مشتركة أو بحسب قواعد ديرية معلومة. ومن هذا النظام أنشأ الرهبان المسيحيون الأديرة، وانتقل نظام الرهبنة من حركة انفرادية إلى الحركة المعروفة لدى المسيحيين بحركة الحياة أو الشركة الاجتماعية.

ويطلق على هذا النوع من الرهبنة (الشركة) [٢] ويطلق على الرهبان في هذه الجماعة اسم النساك [٣].

نشاة الأديرة المسيحية وتطورها:

شق على الرهبان المسيحيين الالتزام بنظام التوحد والانفراد التام، ولذا تاقت نفوسهم إلى نظام أقل مشقة وأكثر أمانا.

فلقد ذكر المسيحيون أن الراهب المسيحي كان في مبدأ الأمر يختار لسكناه بناية خربة أو قبرا مهجورا خارج المدن أو كهفا منحوتا في القفر أو الجبل ويظل هكذا متوحدا لا يرى أحدا ولا يراه أحد.

ولكن هذا النمط من الحياة كان شاقا على كثيرين ممن اختاروا حياة الرهبنة، ولذا بدأ هؤلاء الرهبان يختارون كهوفا متجاورة يخفف عنهم تجاورها قسوة التفرد والانقطاع.

وبعد أن ازدهرت الرهبانية وتوافرت الإمكانيات بدأ الرهبان في بناء القلالى

---

(١) ج. ج. كولتون: الديرية أسبابها ونتائجها (الفصل الرابع والثمانون) من كتاب «تاريخ العالم» المجلد الرابع: ترجم هذا الفصل د./ جمال الدين الشيال، وراجعه د./ حسين مؤنس ص ٢٩٥، نشره السير جون هامرتن، مكتبة النهضة المصرية.

(٢) بستان الرهبان ص ٥.

(٣) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٨٣.

من الحجارة التى عمرت بهم.

وفي القرن الخامس الميلادي بدأ البربر يغيرون على البراري التى يقطنها الرهبان، ومن ثم بدت الحاجة إلى بناء أسوار حول مساكن الرهبان. ومن ذلك الوقت بدأ بناء الأديرة ذات الأسوار العالية(١).

وعن نشأة هذا النظام في الديانة المسيحية وتطوره يقول زكى شنودة: **«ظلت الرهبنة المسيحية تقوم على التوحد والانفراد حتى إذا أقبل القرن الرابع الميلادي وكثر طلاب الترهب وانطلاق الناس إلى البراري والقفار، وحيث إن النفوس ليست بقادرة كلها على التزام الصبر الشديد على الوحدة المطلقة بما تنطوي عليه من قسوة وإقفار، وحرمان. وقد نشأ الناس بغريزتهم ميالين إلى الاجتماع والتعاون على مطالب العيش، ومن ثم فقد بدأت تظهر الحاجة إلى جمع شمل الرهبان ممن عجزوا عن حياة الوحدة، كي يعيشوا في جماعات تتوافر لها أسباب الائتناس بالزمالة والجوار، والأمن والسلامة من عادية الوحوش الضارية أو المغيرين من قطاع الطرق ولصوص القفار، فراح الرهبان يبنون قلاليهم في سفوح الجبال متجاورة من بعضها حتى يخففوا عن أنفسهم حدة ما يستشعرون من وحدة وانفراد»**(٢).

ثم يقول: **«ومع الزمن ابتدأ هؤلاء النساك المتجاورون يتعاونون في إقامة الصلاة وتدبير ما يلزم لهم من شئون حياتهم وحماية أنفسهم من ضواري الصحراء، وغارات البربر فقاموا يبنون أسوارا عالية تضم قلاليهم، وتعزز ما نشأ بينهم من تعاون ومودة.**

---

(١) يذكر زكى شنودة أنه لما كانت الأديرة في البراري النائية أكثر تعرضا لسطو الناهبين واللصوص فقد كانوا يبنون حولها الأسوار العالية ويجعلون أبوابها صغيرة واطئة يحنى الداخل منها رأسه، حتى إذا وقع خوف من غارة البربر كانوا يضعون أمام الباب حجرين عظيمين معدين على الدوام لهذا الغرض، بل كانوا أحيانا يسدون باب الدير بالبناء ويرفعون الأشخاص والأشياء باسطوانة تشبه الساقية حتى إذا قصد الدير شخص، كان يجذب حبلا متصلا بناقوس فيتنبه الرهبان له ويمدون حبلا يجذب الزائر إلى أعلى بواسطة الاسطوانة (راجع تاريخ الأقباط جـ ا ص ٢٢١ - ٢٢٣).

(٢) تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٨٨ - ١٨٩.

وهكذا نشأت فكرة الأديرة»[١].

وبمرور الأيام كون أولئك النساك جماعات لحقت بها جماعات أكبر منها، ثم أصبحت الحاجة ماسة - كما يقول كولتون - إلى التشريع فوضع أحد الزعماء قانونًا رسميا تعهد الجميع بإطاعته، وكان قانون باخوميوس أقدم قانون[٢].

وقد نمت هذه الحركة على يد عدد من آباء الكنيسة وعلى رأسهم «باخوميوس ٢٩٠ - ٣٤٨م» الذي نظم حياة الرهبان في شكل اجتماعي بحيث يعيش الجميع داخل حيطان دير واحد يأكلون معا، ويصلون معا، ويدرسون معا ويشتغلون لكسب الرزق- كما يقول المسيحيون -.

يقول د./ جوزيف يوسف «وهكذا أصبح الرهبان يخضعون لقوانين معينة، بعد أن يتركوا الحياة الدنيا ويتخلصوا من مالهم وثرائهم ليعيشوا جماعات شعارهم الفقر والتبتل والطهارة، وقد انتشر نظام القديس باخوميوس بتأسيس العديد من الأديرة في مصر»[٣]

ولذا يعد باخوميوس هو المشرع للقواعد الديرية التى اقتبسها عنه الرهبان الذين قاموا بنقلها إلى خارج مصر.

الرهبنة والديرية خارج مصر:

ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت الرهبنة والديرية خارج حدود مصر في الجزء الشرقي من العالم الروماني أي في بلاد الشام وقبرص وما بين النهرين وآسيا الصغرى.

ففي بلاد الشام نشأت الرهبنة في القرن الرابع الميلادي واتخذت طابعا

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ١٨٩.

(٢) كولتون: عالم العصور الوسطى في النظم ص ١٦٨ ترجمة د./ جوزيف يوسف ط ثانية، دار المعارف سنة ١٩٦٧م.

(٣) المرجع السابق، هامش ص ١٦٩.

خاصا مع أنها تأثرت بالنظام الأنطوى - نسبة إلى أنطونيوس.

وأهم مظاهرها الرهبان المشهورون (بالعموديين) نسبة إلى (سمعان العمودي) [١] ٣٩٠ - ٤٥٩م، الذي اتخذ مقامه فوق عمود[٢] - كما يقول ول ديورانت - ثلاثين عاما مكتفيا بأن يدلى سلة صغيرة بواسطة حبل ليحصل فيها على ما يحتاج من لوازم أساسية [٣].

أما في بلاد العراق فقد قامت الرهبنة والديرية على يد الراهب (أوجين المصرى) في حوالي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. وكان قد تتلمذ على يدي القديسين أنطونيوس وباخوميوس، فبنى ديرا على مقربة من مدينة الموصل كما كون جماعات رهبانية شمال بلاد العرب وفي أرمينيا وفارس.

ثم نشأت جماعة أخرى على جبل (عزلا) بجوار (نصيبين) عام ٥٠٤م على يد راهب يدعى (إبراهيم)[٤].

- وفي بلاد فلسطين قامت الرهبنة والديرية على يد الراهب (هيلاريون) وكان من أهل غزة وولد بها عام ٢٩١م، وتلقى تعليمه ليعيش حياة النسك ولنشر الرهبنة بعد أن مهدت لها جماعات اشتهرت بتنسكها أطلق عليها (أبناء وبنات القيامة) فنشرت الرهبنة في كثير من جهات فلسطين، وبنت كثيرا من القلالى في مدينة أورشليم.

- وفي جزيرة قبرص أسس الرهبان القبط على التلال بالقرب من قرية «بلاتان» ديرا أطلقوا عليه اسم القديس مكاريوس [٥].

---

(١) راجع تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٨.

(٢) لقد روى المسيحيون عن الرهبان روايات فيها بعض المغالاة، وقد نقلت الكتب التاريخية هذه الروايات على أساس أنها وقائع وأحداث حقيقية.

(٣) ٢٠٩ قصة الحضارة مجلد ٤ جـ ١ ص ١٢٣، راجع أيضا د/ سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى جـ ١ص ١٦٥ مكتبة المصرية أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٥.

(٤) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٩٨.

(٥) المرجع السابق ص ٩٧.

- أما في آسيا الصغرى فقد أسست أخت للقديس باسل ديرا للراهبات سنة ٣٥٨م في إقليم بونطس. أما باسل (٣٢٩ - ٣٧٩) فقد درس الأنظمة الأنطونية (أنطونيوس) والباخومية (باخوميوس) ولم تعجبه فأسس مؤسسة ديرية في قيصرية الجديدة بآسيا الصغرى أيضا حوالي سنة ٣٦٠م.

وسرعان ما أصبحت التنظيمات التى وضعها (باسل) لمؤسساته الديرية بمثابة دستور للاديرة الباسلية التى انتشرت في الشام وفلسطين وبلاد اليونان حتى صارت هذه الأديرة تتزعم الحياة الديرية في الإمبراطورية البيزنطية بقية العصور الوسطى [١].

- أما إدخال الديرية في أوربا فقد وصلت إليها قبل نهاية القرن الرابع الميلادي، ويعزى إلى الراهب (إثناسيوس الكبير) إدخال الرهبانية والديرية إلى الغرب.

وكان النظام الديرى الذي انتشر في الغرب الأوربي شديد الشبه بالنظام الباخومى الذي عرفته مصر، ذلك أن كثيرا من الزائرين الغربيين الوافدين من روما وغاليا وأسبانيا زاروا الأديرة الباخومية في مصر ونقلوا معهم فكرتهم إلى الغرب، هذا إلى جانب أن (جيروم ٣٤٠- ٤١٠) ترجم سنة ٤٠٤م نظام باخوم الديرى إلى اللاتينية وبذلك وضع أمام الغربيين صورة منظمة لهذا النوع من الحياة الدينية التى عرفتها مصر [٢].

على أن تاريخ الديرية [٣] في غرب أوربا يرتبط بأربعة أسماء لامعة هم:

١- كاسيان (حوالي ٣٦٠ - ٤٣٥م).

٢- مارتن التورى (حوالي ٣١٦ -٣٩٧م).

---

(١) راجع: أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٥.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة. (٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٥ - ١٦٦.

٣- قيصر الآرلى (ت ٥٤٢م).

٤- بندكت (حوالي ٤٨٠ - ٥٤٣م).

ويعتبر أول هؤلاء المؤسس الحقيقي للديرية الغربية على الرغم من وجود بعض رهبان في الغرب -- وبخاصة في غاليا - قبل عصر «كاسيان».

أما «مارتن» فقد فاق «كاسيان» في اتساع نفوذه لأن الأول نجح في اكتساب تأييد الرأي العام الشعبي وعطفه في حين فشل الثاني في ذلك. وكان «مارتن» قد انتخب بالإجماع أسقفا (لتور) سنة ٣٧٢م وعلى مقربة منها أسس ديره الشهير (مار موتيه).

أما قيصر الآرلى فقد اختلف عن زميليه السابقين في أنه عاش في الوقت الذي كان الفرنجة قد غزوا غاليا فعلا. وقد وضع «قيصر الآرلى» نظاما للرهبان والراهبات يتضح فيه تأثره بآراء كل من «كاسيان» و «أوغسطين». كذلك وضعت شقيقة «قيصر» وهي «قيصرية» نظاما لدير الراهبات في «آرل» بمعاونة أخيها وينص هذا النظام على أن تشغل الراهبات وقتهن بالغزل والطهي فضلا عن نسخ الكتب.

أما بندكت فهو صاحب الفضل في تأسيس النظام الديرى الذي عرف باسمه والذي جعل الديرية الإيطالية تحتل مكان الصدارة في الغرب بعد أن حل النظام البندكتى محل كثير من الأنظمة الديرية السائدة، كما تمتع - لأول مرة في تاريخ المنظمات الديرية - بتأييد البابوية وعطفها.

ولذا أخذ المسلك الرهبنى يستهوى الكثير من المسيحيين في الغرب في القرن السادس الميلادي [١].

ولكن لم تلبث الحماسة أن فترت وبدأ الفساد والانحدار يتسرب إلى

---

(١) د./ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٣.

الحركة الديرية[١].

هذا عن حركة الديرية وانتشارها في العالم.

الثالث: الحياة شبه التنسكية:

أما المظهر الرهبنى الثالث فهو المتوسط بين المظهرين السابقين والذي يشار إليه بالحياة الشبه التنسكية وهى عبارة عن حياة ديرية لم تكن فيها سلطة مركزية، إذ يجتمع الرهبان زرافات متفرقة كل منها تمارس عيشا مشتركا تحت إشراف أقدمهم رهبنة [٢].

ويطلق المسيحيون على هذا النظام (الفردية المترابطة) أي الحياة الفردية في تناسق مع الجماعة وأنشأه القديس مكاريوس.

وفي هذا الإطار عاش البعض في قلال منفردين، وبعضهم عاش جماعات في قلاية واحدة [٣]. والرهبان في هذا المظهر يسمون بـ «المتبتلين» لأنهم يجتمعون اثنين أو ثلاثة معا ويسكنون المدن ولكنهم لا يتزوجون [٤].

وظهرت الرهبنة بهذا النظام في مصر أيضا في النطرون، وشيات، وأسسه مكاريوس.

تعقيـــب :

الواقع أن حركة الرهبنة بمظاهرها تعتبر نوعا من التطرف البعيد عن الحكمة والفطرة الإنسانية والبعيد أيضا عن طبيعة الإنسان الاجتماعية، فليس من الدين والحكمة في شيء أن يبتعد الفرد عن إخوانه من بنى الإنسان ليعيش وحيدا منعزلا عن الحياة والعالم يقضى أيامه في جوع وحرمان، أو يأكل ما

---

(١) عن تطور الحركة الديرية وتسرب الفساد إليها وأسباب حلها راجع: (تاريخ العالم) المجلد الرابع (بحث كولتون عن الديرية) أسبابها ونتائجها، ص ٢٩٥ - ٣١٠.

(٢) راجع د./ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٣.

(٣) الإمبراطورية البيزنطية ص ١٨٨.

(٤) مقدمة (بستان الرهبان) ص ٥.

يتيسر له من طعام فاسد دون أن يرتدى شيئا سوى أسمال بالية ويحرم نفسه حتى من نظافة الجسد[١]، ولذلك كان (أمونيوس [٢] ٢٩٤ - ٣٥٦م) يزعم أنه عيب وخجل أن ينظر الرجل التقى جسمه عاريا من الملابس، وعار أن يخلع ثيابه عنه ولو وقت الاستحمام، وكذا «إثناسيوس» كان يقول: إن الاستحمام عادة قبيحة مستهجنة لا توافق الآداب (ما دام الإنسان يقف مجردا من الملابس كما قال أمونيوس). فلذلك صارت أجسام أولئك الرهبان السذج - كما تقول بتشر - في حالة من القذارة والوساخة تشمئز منها نفوس صبيان الأزقة في البلاد المتمدنة، وهم كانوا يحسبون هذه الوساخة والقذارة علامة على الزهد والتقوى وإشارة للبر والقداسة [٣]، وما هي من التقوى بشيء بل هي أبعد ما تكون عن الفطرة والحكمة والطبيعة الإنسانية.

ويقول برتراند رسل - عن هذه الظاهرة لدى الرهبان - كان ينظر إلى النظافة بعين الكراهة، فالقمل كانوا يسمونه (لآلئ الله) كما كانوا يتخذونه علامة القدسية في حامله، وكان الرهبان والراهبات يفخرون بأن الماء لم يمس أقدامهم إلا حين استدعت الضرورة أن يعبروا الأنهار [٤].

وتقول بتشر: «ولو اقتصر الأمر على وساخة الجسم لكان الضرر سهلا هينا، بل تعداه إلى وساخة العقول أيضا، فأن أكثر الرهبان أنكروا على أنفسهم الدرس والمطالعة وامتنعوا عن مزاولة العلم والمعرفة، وكانت النتيجة أن النباهة والحذق وحدة الذهن التى كانت طبيعية في الأمة - المصرية - يتوارثها الأحفاد عن الأجداد ضاعت منهم

---

(١) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٨٣.
(٢) أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٠. ولمزيد من التفاصيل عنه راجع القس منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٣.
(٣) تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٧٥.
(٤) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية جـ ٢ ص ١١٧، ترجمة د./ زكى نجيب محمود، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر.

بواسطة نظام الرهبنة»[١].

ثم تقول: «نعم قالوا إن بعض الأديرة صارت في القرون الوسطى مدارس للعلم، ولكن إذا شئت الحقيقة التى لا مرية فيها إنها كانت منسخا يتعلم فيها الرهبان نسخ الكتب التى بقيت لهم من العصور الأولى، وكانوا يصرفون أوقاتهم وهم يكدون ويكدحون في الكتابة باليد، وقل أن يستفيدوا مما كانوا يكتبون»[٢].

هذا وقد ذكر المؤرخون أن حركة الرهبنة والديرية امتلأت بالمساوئ والعيوب، فهي كانت عاملا من عوامل التفكك والانحلال التى أخذت تنخر في جسم المجتمع، ولقد ظهر هذا واضحا منذ وقت مبكر يرجع إلى النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي عندما شكا مجمع «جانجرا» سنة ٣٦٢م من أن نشاط الحركة الديرية أدى فعلا إلى تمزيق كيان الأسرة وشل كثير من مرافق الحياة العامة، هذا في الوقت الذي انتاب الفزع الحكومة الرومانية لكثرة الأفراد الذين هجروا متاجرهم وحقولهم لينخرطوا في سلك الديرية[٣].

وكان نتيجة هذه الرهبانية - كما يقول أبو الحسن الندوى[٤] - إن خلال الفتوة والمروءة التى كانت تعد فضائل عادت فاستحالت عيوبا ورذائل، وزهد الناس في البشاشة وخفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجروها.

وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية، وعم الكنود والقسوة على الأقارب، فكان الرهبان بدلا من أن تفيض قلوبهم حنانا ورحمة، وعيونهم دمعا. تقسو قلوبهم وتتجمد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد فيخلفون الأمهات والأزواج أيامى، والأولاد يتامى عالة يتكففون الناس،

---

(١) تاريخ الأمة القبطية جـ ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٦.

(٣) أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٣.

(٤) أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٨، الناشر: دار القلم بالكويت، ودار الأنصار بالقاهرة، الطبعة العاشرة سنة ١٣٩٧هـ- سنة ١٩٧٧م.

ويتوجهون قاصدين الصحراء، همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة لا يبالون ماتوا أو عاشوا.

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق والتحدث إليهن ولو كن أمهات أو أزواجا أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية.

يقول د. / سعيد عبد الفتاح عاشور: «قامت الديرية في أساسها على شعور الأنانية المستتر خلف التدين فكل راهب يفكر في إنقاذ نفسه دون أن يفكر في غيره بالقدر الذي يفكر به في نفسه، بل ربما أوقعته عزلته عن المجتمع البشرى الكبير في كثير من الأخطاء»[١].

ثم يقول: «وإذا كان الراهب يقوم بشيء من أعمال البر والإحسان فإنه لا يقوم به رحمة بأخيه الإنسان وإنما رحمة بنفسه ووسيلة يتقرب بها إلى الله - وهو يعمل داخل الدير لا لأن العمل نشاط نافع لنفسه وللمجتمع أو وسيلة لمساعدة غيره، وإنما يتخذ من العمل منفذا لتصريف طاقة الحماسة المكبوتة في نفسه. فالراهب يهجر العالم ويلوذ بديره؛ لأنه في حقيقة الأمر أجبن من أن يواجه مصاعب الحياة ويعمل على تعديل ما بها من انحراف، وتقويم ما فيها من آثام وشرور»[٢].

هذا إلى جانب أن الأديرة ذاتها تطرق إليها الفساد وشملها الفسوق منذ تاريخ مبكر حتى إنه ينسب إلى منشئ الأديرة (أنطونيوس) أنه قال لزميله «مكاريوس»: قم يا مقارة: أقفل الديارة لأن الرهبنة فسدت[٣].

ويقول الأنبا (باسيليوس) مطران أبي تيج: إن الأديرة لا تقي من الفساد وإن

(١) أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ١٦٢.
(٢) المرجع السابق جـ١ ص ١٦٣.
(٣) مجلة رسالة الحياة المسيحية السنة الأولى العدد السادس ص ٧٤، نقلا عن د./ أحمد شلبي: المسيحية ص ٢٤٦.

الرهبان يحيون حياة شريرة [١]

وجاء في المجلة المسيحية (رسالة الحياة) ما يلي عن الرهبنة والأديرة:

الأديرة تحتوى على فساد عميق، وهيهات أن يوجد بها من يصلح للبقاء، إذ إنها تضم بين جدرانها أفاقين أولى بهم غيابات السجون [٢].

ويقول الكاتب المسيحي (كوركيس عواد) في مقدمة تحقيقه لكتاب (الديارات)[٣] للشابوشتى (٣٨٨هـ -٩٩٨م): إن الأديرة كانت مجالا للأنس والطرب ومواطن للنزهة واللهو، وأن كل دير من الديارات كانت محصنا بسور مكين شاهق يدفع عنه شر الهجمات ويقيه غائلة المعتدين عليه، والواقع أن هذه الأسوار كانت تخفى ما يدور بداخل الديارات من انحراف وأسرار[٤].

والديارات التى تكلم عنها الشابوشتى هي ثلاثة وخمسون ديرا أكثرها بالعراق (٢٧) ديرا وبعضها بالشام (١٣) ومصر (٩) والجزيرة (٤). وقد شملها الانحراف جميعا مما يدل على أن الأديرة في أي موقع كانت، رحبت بهذا اللون المنحرف من الحياة، فكأن الانحراف كان جزءا من أعمالها[٥].

وربما نجد في كلام الجاحظ إشارة وتلميحا إلى هذا الانحراف حيث تعجب من كثرة الولد برغم دعوتهم إلى الرهبنة.

فمن أين أتوا بهم؟؟؟

يقول الجاحظ: «والعجب أن كل جاثليق لا ينكح ولا يطلب الولد وكذلك كل مطران وكل أسقف، وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية والمقيمين في

---

(١) الأنبا باسيلسوس: صوت الحق نقلا عن المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ٢٤٧.

(٣) وإن نظرة واحدة في هذا الكتاب وما يرويه عن الديارات تكفى للاقتناع بأن الأديرة كانت معقلا للفساد والعصيان، وأن الانحراف كان جزءا من أعمالها.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٥) المرجع السابق ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

الديارات والبيوت من النسطورية وكل راهب في الأرض وراهبة - مع كثرة الرهبان والرواهب ومع تشبه القسيسين بهم في ذلك، ومع ما فيهم من كثرة الغزاة وما يكون فيهم مما يكون في الناس من المرأة العاقر، والرجل العقيم على أن من تزوج منهم امرأة لم يقدر على الاستبدال بها، ولا على أن يتزوج أخرى معها، ولا على التسري عليها - وهم مع هذا قد طبقوا الأرض وملئوا الآفاق وغلبوا الأمم بالعدد وبكثرة الولد»[١].

فمن أين جاءوا بكثرة الولد؟؟؟ ومن أين لهم هذا العددد؟؟؟ مع ما يدعون إليه من ترك النكاح.

وروى عن الجاحظ ما يؤكد قدحه مباشرة في عفة الرهبان والراهبات.

فلقد ذكر الشابوشتى أنه روى عن الجاحظ أنه قال: حدثني ابن فرج الثعلبي: أن قوما من بنى ثعلب أرادوا قطع الطريق على مال السلطان فأتتهم المعاينة فأعلمتهم أن السلطان قد نذر بهم، فساروا ثم أزمعوا على الاستخفاء في دير العذارى [٢]، فصاروا إلى الدير ففتح لهم، فما استقروا حتى سمعوا وقع حوافر الخيل في طلبهم، فلما أمنوا وجاوزتهم الخيل خلا كل واحد منهم بجارية كان يظنها عذراء ولكنهم جميعا تبينوا أن القس الذي كان موكلا بحماية الدير قد اعتدى عليهن جميعا)[٣] كل هذا يدل على فساد الأديرة وانحراف سكانها.

* * *

---

(١) الجاحظ: المختار في الرد على النصارى ص ٩٣، تحقيق د./ محمد عبد الله الشرقاوى، دار الصحوة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م.

(٢) يقول عنه الشابوشتي: إنه سمي بدير العذارى إذ أقيم لبعض الجواري المتبتلات العذارى فكن سكانه وقطانه فسمي الدير بهن.

(٣) الديارات ص ١٠٧، نقلا عن عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

أهم مبادئ الرهبانية المسيحية

تقوم الرهبانية المسيحية على ثلاثة مبادئ رئيسية:

- العفة (أو البتولية كما يذكر البعض)
- الفقر (أو التقشف)
- الطاعة[١].

وقد أضاف زكي شنودة إلى هذه المبادئ مبدأ الوحدة أو العزلة، وقسم مبدأ الطاعة إلى قسمين: الصلاة والتأمل [٢].

وعليه فالمبادئ خمسة كما ذكرها زكي شنودة.

أما البتولية فهي تعني عندهم عدم ممارسة العلاقات الجنسية [٣] بعدم الزواج، والابتعاد عن مشاهدة النساء، وصم الآذان - كما يقول زكي شنودة - عن نداء الجنس الخارج من أعماق الجسد[٤].

ولذلك جاء في وصايا الرهبان:

«الزم البكورية في أعضائك، والطهارة في قلبك وجسدك»[٥].

والزواج - في نظرهم - هو المعوق للوصول إلى الطهارة الداخلية والكمال الروحي[٦].

---

(١) راجع مقدمة (بستان الرهبان) ص ٦، أندريه سكريما: أصول الحياة الروحية ص ٢٥، وهذا الكتاب عبارة عن دروس للأب أندريه سكريما إلى أخوة دير مار جرجس الحرف، منشورات النور، ط ثانية، الأب بولس إلياس اليسوعي: يسوع المسيح ص ٣٥٦ المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٦.

(٢) تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٨٢.

(٣) أصول الحياة الروحية ص ٢٩.

(٤) تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٨٣.

(٥) بستان الرهبان ص ١٨٩.

(٦) أصول الحياة الروحية ص ٣٠ - ٣١.

وعليه فعدم الزواج من الأمور الواجبة على الرهبان، فالراهب والراهبة يأمرون بعدم الزواج باعتبار أنه مناف لباب التقرب إلى الله، وترك النكاح - عندهم - من جملة المناسك والقربات.

هذا وقد فرضت الكنيسة على القساوسة والرهبان العزوبة وعدم الزواج منذ وقت طويل.

ففي أوائل القرن الرابع الميلادي أصدر مجمع «الفيرا» في أسبانيا قرارا بتحريم الزواج والابتعاد عن كل شهوات الجنس على كبار رجال الكنيسة، وفي أواخر القرن الحادي عشر أصدر البابا «جريجوار السابع» أمرا بوجوب العزوبة وتحريم الزواج على جميع القسس والرهبان كبارهم وصغارهم.

ومع أن هذا القرار قد لاقى في مبدأ الأمر معارضة شديدة في كثير من المناطق المسيحية فإنه لم يكد ينتهي القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان نظاما مقررا في الكنيسة الكاثوليكية ومطبقا على جميع القسس من الرجال والراهبات من النساء(١).

ويشير المسيحيون إلى أن - الزنار في الزى الرهبانى - وهو الحزام الذي يشده الراهب على وسطه - إنما يرمز إلى البتولية.

يقول أندريه سكريما: **«وكأنه مشدود في الوسط ليمنع الحكمة الكاملة التى تأتي عن طريق البتولية الرهبانية من الانحدار من المنطقة العليا إلى المنطقة السفلى»**(٢).

والواقع أن الحكمة لا تأتي عن طريق البتولية بل ربما تكون سببا في الفساد فهم - بمبدأهم هذا - يعرضون الرجال والنساء للزنا والفساد، ويسدون باب الذرية التي يمكن أن تكون صالحة تعبد الله وتعظمه وتقدسه.

---

(١) د./ على عبد الواحد وافي: غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٢٧٧، دار نهضة مصر سنة ١٩٨٤م.

(٢) أصول الحياة الروحية ص ٣٢.

هذا إلى جانب أن الزواج مشتمل على قربات منها: إعفاف الزوجة، وإعفاف الزوج، والتسبب للذرية، وإرغام الشيطان بصون الإنسان عن موارد العصيان، وهذه القربات أفضل مما انقطع إليه الرهبان.

ومن ناحية أخرى نجد أن النكاح والتناسل سنة الأنبياء عليهم السلام، وخواص الأولياء، ودأب النجباء والأقوياء [١].

وهناك أمر آخر يجب التنبيه عليه وهو أنهم إذا كانوا يدعون إلى عدم الزواج ويعتبرونه معوقا للكمال الروحي فلماذا إذًا ينادون الآن بكثرة النسل؟ فهم يهتمون بكثرة النسل ويحاربون تحديده، ويزيد اهتمامهم به في البلاد التى يكونون فيها أقلية أو مساوين بغيرهم في التعداد.

ولذلك نشرت مجلة الوثائق الكاثوليكية في عددها رقم ١٢٧١ سنة ١٩٥٨م نص ما قاله البابا بيوس الثاني عشر في الاتحاد الإيطالي لجمعيات العائلات الكثيرة وهو «**أن خصب الزواج شرط لسلامة الشعوب المسيحية ودليل على الإيمان بالله والثقة بعنايته الإلهية ومجلبة للأفراح العائلية**» [٢].

هذا وتشير المؤرخة المسيحية (بتشر) إلى أن أكثر الرهبان المسيحيين لم يمتنعوا عن الزواج لسبب ديني فتقول: «**إن الحقيقة التي نريد إيضاحها الآن هي أن أكثر الذين صاروا رهبانا وراهبات - وأكثر الذين فعلوا مثل إثناسيوس ولم يتزوجوا- لم يتخلوا عن وظائفهم بل استحسنوا عدم الزواج بسبب مصائبه وضيق الوقت**» [٣].

والواقع أن العزوبة المفروضة على رجال الدين ليست قاصرة على المسيحيين وحدهم.

---

(١) القرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ص ٣٣٨ - ٣٣٩ تحقيق د./ بكر عوض (كلية أصول الدين بالقاهرة) الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦.

(٢) راجع محمد الطهطاوي: النصرانية والإسلام ص ٧٥ - ٧٦، الناشر: دار الأنصار بالقاهرة.

(٣) تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص٢٧٣.

فهناك شعوب كثيرة [١] - قبل المسيحية - فرضت على رجال الدين وذوى الوظائف الدينية العزوبة، وعدم الاقتراب من النساء، وحرمت عليهم الزواج تحريما قاطعا.

- فعند قبائل «التلنكت» يعتقد أن الساحر الذي لا يبتعد عن النساء ستقتله الأرواح نفسها التى تقوم بحراسته.

- وفي بعض عشائر «الجوارانيين» بأرجواي (بأمريكا الجنوبية) يتحتم على رجال الدين العزوبة والابتعاد عن النساء طول حياتهم، ومن يتزوج منهم أو يقرب امرأة يفقد وظيفته كما يفقد ثقة الناس به.

- وعند السكان الأصليين في «جواتيمالا» يأخذ رجال الدين على أنفسهم العهود أن يبتعدوا مدى حياتهم عن الاقتراب من النساء.

- ولدى «الاتشكاتلانيين» يجب على كبير رجال الدين أن يعيش طول حياته في داخل معبده وألا يقرب النساء، فإن انحرف عن هذا السبيل قطع إربا إربا وعلقت أعضاؤه ليكون عبرة لسواه ممن يخلفه.

- وعند قبائل «الأزتك» - وهم السكان الأصليون للمكسيك - كان يجب على الكاهنات والمشرفات على شئون المعابد ألا يتزوجن ولا يقربن الرجال، وحتى في أثناء أدائهن لوظائفهن الدينية كان يجب عليهن أن يظللن بعيدات عن الرجال وأن يغضضن من أبصارهن حتى لا تقع أعينهن على واحد منهم. فإن انحرفت إحداهن عن هذا المنهج كان عقابها الإعدام.

- وعند عشائر «الإنكا» في «بيرو» كان يجب على العذارى اللاتي وهبن أنفسهن للشمس والإشراف على معابدها أن يظللن عزبات طول حياتهن وألا يقربن الذكور، بل كان يحرم عليهن حتى مجرد الحديث مع الرجال.

- وعند عشائر «الجونش» في جزائر «كارانيا» يحرم الزواج حرمة مؤبدة على

(١) اعتمدنا في هذا على كتاب: (غرائب النظم والتقاليد والعادات) ص ٢٧١ - ٢٧٧.

طائفة من الفتيات يطلق عليهن اسم «الموجاد» أو «الحاريماجاد» وتتمثل وظائفهن في الإشراف على شئون المعبد والشعائر الدينية تحت إشراف الحبر الأكبر.

- وفي «رأس بدرون» في «غينيا السفلى» كان يجب على من يخلع عليه لقب «القسيس - الملك» أن يعتزل الناس ويتخذ له في غابة مجاورة منزلا يعتكف طول حياته فلا يسمح له بالخروج منه ولا يباح له أن يمس امرأة في داخله.

- وعند «قدماء اليونان» كان من المقرر في كثير من المدن أن تظل الكاهنات بدون زواج طول حياتهن أو على الأقل في أثناء قيامهن بوظائفهن.

- وعند «قدماء الرومان» أيضا وجد هذا النظام حيث أنشأ الملك «نوما بومبيليوس»[1] نظام الكاهنات المشرفات على شئون المعابد، وكان يجب على كل واحدة منهن أن تظل عزباء في مدة معينة.

- وعند «قدماء الفرس» كان يجب على الكاهنات المشرفات على معابد الشمس ألا يقربن الرجال.

- ووجد هذا النظام أيضا عند الهنود القدماء في أديانهم المختلفة - كما سبق أن بينا -.

أما المبدأ الثاني - من مبادئ الرهبنة المسيحية - فهو الفقر أو التقشف:

وهو يعنى - عندهم - حرمان الجسد من أطايب المأكولات والمشروبات ومن فاخر الثياب، أو تعذيب البدن بالجوع والعطش وخشن اللباس وضنك التفرد بعيدا عن الناس[2].

---

(١) هو الملك الثاني من ملوك روما في العصور السابقة للتاريخ وفق ما تحدثنا به أساطير الرومان (٧١٤ - ٦٧١ ق. م)

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٨٤ -١٨٥، أصول الحياة الروحية ص ٣٤- ٣٩.

أما الطاعة - وهي المبدأ الثالث:

فيقصدون بها طاعة الرؤساء في كل ما يأمرون به وفقا للكتب المقدسة. وهذه الطاعة واجبة على الرهبان[١].

يقول أندريه سكريما: «بنذر الطاعة يلتزم الراهب أن يطيع رئيسه وإخوته متنازلا عن إرادته الذاتية حتى الممات»[٢].

أما الوحدة:») فيقصد بها عندهم هجر العالم والزهد في متاعه وأطماعه واللجوء إلى الجبال والبراري بعيدا في الصحراء.

وهي تعنى أيضا الانفراد والعزلة والسكون والصمت وسكنى الأديرة أو الجبال وملازمة الدير أو القلاية وعدم مغادرتها إلا للصلاة أو الضرورة القصوى[٣].

ولا شك أنهم بهذا يعطلون القوى الإنسانية التى أعطاها الله للإنسان وميزه بها هذا إلى جانب أنها لا تتفق مع كون الإنسان خليفة لله في الأرض.

* * *

(١) تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٥- ٢١٤.

(٢) أصول الحياة الروحية ص ٤٠.

(٣) تاريخ الأقباط جـ١ ص١٩٣، ١٩٤، ٢١٤.

مؤسسو الرهبانية المسيحية

يرجع تأسيس الرهبانية المسيحية إلى الآباء: بولا، وأنطونيوس - أبو الرهبنة -، وباخوميوس، ومكاريوس المصرى، وكلهم من الرهبان المصريين.

وسوف نتكلم عن هؤلاء بإيجاز باعتبار أنهم المؤسسون للرهبانية المسيحية، وسوف نتحدث أيضا عن بعض الرهبان المسيحيين الذين اشتهروا في مجال الرهبانية.

بولا (بولس الطيبى)[(١)]:

من أشهر الرهبان الذين عاصروا العهد الأول - الذي بدأت الرهبنة تأخذ فيه شكلها المنظم - بولس الطيبى. وقد ولد في طيبة في أوائل القرن الثالث سنة ٢٣٠ أو سنة ٢٣٤م، وكان أبوه رجلا غنيا فلما مات أبوه ورث ثروة طائلة، ولكن صهره حسده عليها، فلما خاف بولس أن يشي به صهره لدى السلطات بأنه مسيحي هرب إلى الصحراء - كما تقول المراجع المسيحية - وجاء إلى كهف يؤدى إلى فضاء خلفي، ووجد هناك طعاما وشرابا ولذلك عزم على البقاء وظل في الصحراء إلى أن مات في سنة ٣٤٣م[(٢)] وعمره قد جاوز المائة.

وهناك دير باسمه في ذات الموقع الذي عاش فيه بجبل القلزم، وفيه رهبان إلى اليوم.

ويرجع الفضل في اكتشاف بولس الطيبى إلى الراهب أنطونيوس ولولا أنه

---

(١) عن حياته ومبادئه، راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٦ -١٣٧، تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٦، تاريخ الكنيسة القبطية ص ٧٢، دراسات في تاريخ الرهبانية ص١٥-١٦.

(٢) يذكر د./ حكيم أمين: أنه توفى ٣٤٧م.

عثر عليه مصادفة لظل أمر «بولا» مجهولا [١].

آمونيوس:

ولد هذا الراهب سنة ٢٩٤م في بلدة قريبة من الإسكندرية من أبوين ثريين توفيا وهو في سن الحداثة فبات تحت وصاية عمه.

يقول المسيحيون عنه إن نفسه كانت تواقة إلى حياة الزهد وإن آماله كانت متوجهة إلى عيشة التبتل والتنسك، غير أن عمه الذي كان قد كفله حثه على الزواج فخطب له فتاة ثرية، فلم يملك إلا طاعة أمره، ولكنه - كما يقولون - استطاع أن يقنعها بأفضلية حياة التبتل، ومن ثم اتفق الاثنان على أن يعيشا معا تحت سقف واحد كأخ وأخت لا كزوج وزوجة، غير أن آمونيوس بعد انقضاء ثمانية عشر عاما من زواجه عقد العزم على التفرغ للعبادة والنسك وحيدا في البرية، فانصرف إلى وادي النطرون وهناك ذاع صيته، وانضم إليه كثيرون من الأتباع والنساك وكثرت القلالى حول صومعته [٢].

ومن مبادئه - كما يقول القس منسي يوحنا - أنه من العيب أن يتفرس الرجل التقي في جسمه وهو عار من الملابس[٣].

وتوفى هذا الراهب عام ٣٥٦م. وقد قدر البعض وفاته بوجه التقريب بين عامي ٣٤٠ - ٣٥٠ م[٤].

انطونيوس المؤسس الحقيقي للرهبانية:

يعتبر الراهب أنطونيوس أبا الرهبان المتوحدين، وأشهر الرهبان الأولين، والمؤسس الحقيقي لحركة الرهبانية في مصر.

يقول الأب متى المسكين: «وإذا كان أنطونيوس قد سبقه في التوحد المطلق

(١) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٥.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٧، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٦٣.

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٣. (٤) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٦٤.

(بولس الطيبى) أول سائح مسيحي وعاه التاريخ إلا أن الرهبنة مدونة في كل ما لها من مثل ومبادئ ونظم إدارية للقديس أنطونيوس وباخوميوس من بعد»[١].

ولقد عرف تاريخ حياته عن طريق إثناسيوس الإسكندري (٢٩٦ - ٣٧٣م) الذي كتب قصة حياة هذا الرجل ثم ترجمت إلى لغات عديدة [٢]، ولقد شكك بعض المسيحيين في صحة كل ما كتبه إثناسيوس عن أنطونيوس.

يقول جون لوريمر: «أما القصة الكاملة عن أنطونيوس فقد كتبها اثناسيوس في أثناء إقامته الطويلة في الصحراء سنة ٣٥٦م، ومع أننا لا نستطيع أن نجزم بصحة كل تفاصيلها إلا أن معظم المؤرخين قبلوا حقائقها الأساسية»[٣].

ثم يقول: «ومن المعلوم أن أنطونيوس وإثناسيوس كانا صديقين يعجب أحدهما بالآخر ولكن من المؤكد إن إثناسيوس كان يكتب باليونانية ومن المحتمل أنه كان يجهل القبطية التى لم يكن أنطونيوس يعرف سواها، هذا الاختلاف اللغوي قد يكون له بعض الأثر في دقة ما كتبه إثناسيوس»[٤].

ولد أنطونيوس في منتصف القرن الثالث (حوالي ٢٥٠ أو ٢٥١م) في بلدة قمن العروس بمركز الواسطى بإقليم بني سويف من والدين ثريين، وبينما هو في العشرين من عمره توفي والده وترك له ثروة كبيرة وأختا صغيرة يقوم على تربيتها والعناية بشئونها، إلا أن أنطونيوس بدأ يتجه نحو التنسك.

يقول د./ حكيم أمين: «ولعل من دوافع اتجاهه إلى الحياة الرهبانية ما عرف عن حياته البسيطة التى عاشها في ظل التعاليم الكنسية، وما كان بمصر وقتذاك من الأفكار الكنسية وكثرة النساك في الأكواخ المتفرقة على ضفاف النهر»[٥].

ويذكر المؤرخون المسيحيون أنه حدث ذات يوم عندما كان أنطونيوس في

---

(١) لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار ص١٠٢.

(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٧، ١٣٨.

(٣) المرجع السابق ص ١٣٨.

(٤) المرجع السابق هامش ص ١٣٨.

(٥) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٨.

الكنيسة سمع الكاهن يعظ الناس مرددا ما جاء في إنجيل متى «**إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع كل أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني**»(١).

فأثرت فيه هذه الكلمات - كما يقول المسيحيون - ولذلك باع أملاكه إلا ما يكفي لسد حاجة أخته، ووزع قيمتها على الفقراء، ولكنه عاد فباع البقية عنده، ثم عهد بشقيقته الصغيرة إلى بيت للعذارى.

وكانت الخطوة الثانية - كما يقول جون لوريمر - أنه ذهب وعاش مع رجل عجوز يحيا حياة الزهد، فهذا الأخير أرشده ووجهه إلى خطواته الأولى في حياة الرهبنة (٢).

بعد هذا أقام أنطونيوس في كوخ صغير إلى جوار شاطئ النيل، ولكن بعد فترة رأى أن في إقامته في ذلك المكان خطرا على حياته الروحية كما يقول د./ حكيم أمين - بسبب رؤيته لبعض النساء اللاتي كن ينزلن إلى النهر للاستحمام (٣)، ولذلك انتقل إلى الصحراء وسكن في قبر مهجور وانقطع عن العالم، وكان طعامه الخبز والملح والماء - كما يقول المسيحيون - ولكنه لم يطل البقاء في هذا القبر فارتحل إلى العمق الشرقي في الصحراء فوجد هناك حصنا رومانيا مهجورا فجعل منه بيته الرهباني الثاني (بالقرب من بسبير) ومكث هناك عشرين سنة يتقوت على الخبز الذي يأتي به أصحابه، وعلى ماء البئر الذي كان يوجد في هذا الحصن.

وفي عام ٣٠٥ بدأ أنطونيوس في تكوين جماعته من المتوحدين، ولم يكن تكوينهم ديريا بالمعنى المعروف، ولكن جماعة من الرهبان يعيش كل منهم بمفرده، ولكنهم قريبون من بعضهم وكانوا يجتمعون معا كل يوم أحد لإقامة

---

(١) متى ١٩: ٢١. (٢) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٨.

(٣) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ١٩.

القداس ولسماع تعاليم معلمهم أنطونيوس، فكان هو منشئ الرهبانية الانفرادية - أي التعبد في صوامع على انفراد - وهو في هذه الأثناء ذاع صيته وانتشرت شهرته.

ثم بدأ أنطونيوس يبحث عن مكان آخر بعيدا عن أعين الناس فبدأ يسير نحو الشرق في صحبة جماعة من البدو إلى أن وصل إلى القلزم وهو الجبل الذي يعرف حاليا باسم جبل الجلالة المشرف على خليج السويس - وهو عند أسفل تل مرتفع يطل على البحر الأحمر وجبال سيناء - وهو قريب من الدير الذي يحمل اسمه إلى اليوم، وهناك قضى أنطونيوس بقية حياته في مغارة من الجبل وسمح لتلاميذه أن يكونوا قريبين منه.

ومات أنطونيوس حوالي عام ٣٥٦م، وكان قد جاوز المائة عام، ثم دفنه تلاميذه في مكان سري غير معروف كما أمرهما، حيث إنه قد أوصاهم بإخفاء جسده في البرية [١]. وبعض المسيحيين يذكرون أنه دفن في مغارته [٢].

هذا وقد دون رهبانه بعض الرسائل التى اعتزت بها الكنيسة والأديرة المسيحية.

باخوميوس:

كان مؤسس رهبنة المتوحدين هو أنطونيوس - كما سبق أن بينا - أما «باخوميوس» الطيبي فقد بدأ نظام الرهبان الذين يعيشون في جماعات.

وبرغم أن الرهبان المتوحدين كانوا يحيون أحيانا في مجموعات تسمى «اللورا» إلا أن كل راهب كان يعيش مستقلا عن جيرانه بل أحيانا كانت تفصل مسافة كبيرة بين صومعة وأخرى.

---

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٤١.

(٢) راجع: تاريخ الرهبنة والديرية ص ٣٨، تاريخ الأقباط جـ١ ص ٢٠١، فجر المسيحية ص ١٧٧، القس منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٢.

أما كلمة «سنوبيت» فتعني المعيشة معا في جماعات. والنظام الذي ظهر بقيادة باخوميوس كان نظاما جماعيا، فكون أول جماعة رهبانية منظمة في تاريخ المسيحية.

وهذا الشكل من الرهبنة هو الذي انتشر خارج مصر، وبخاصة في أوربا وازدهر في العصور الوسطى في أديرة البندكتين، والدومنيكانيين، والفرنسيسكان، والجزويت، والكرمليين وغيرهم من جماعات الكنيسة الكاثوليكية. وفي الكنيسة الشرقية اعتبر الرهبان الباسيليين كجماعة جبل أتوس في اليونان جماعات رهبانية يحيون حياة جماعية [١].

اختلفت الروايات في تحديد تاريخ ومكان ولادة باخوميوس. وأغلب المؤرخين يتفقون على أنه ولد في لاتوبوليس - وهي إسنا الحالية - حوالي سنة ٢٨٥ م[٢]، وكان أبواه وثنيين. ولما ناهز العشرين من عمره انخرط في سلك الجندية في الجيش الروماني، واشترك في الحملة التى جردها الإمبراطور قسطنطين لإخضاع والى الحبشة المتمرد. واتخذت الحملة طريقها في النيل.

تقول الروايات المسيحية إنه أعجب بسلوك المسيحيين الذين قاموا على خدمة الجنود مما جعله يعتنق المسيحية عقب عودته من هذه الحملة، وقصد «باخوميوس» إلى (أوشنسيت) وهي بلدة قصر الصياد الحالية بمحافظة قنا، حيث عمد بكنيسة القرية، وقصد بعد العماد إلى أحد معابد سيرابيس المهجورة، بجوار النهر للإقامة به، وظل به - كما تذكر الروايات المسيحية - ثلاث سنوات وهو يمارس ضروب النسك الشائعة آنذاك [٣].

وقد اتصل باخوميوس بـ (بلامون) أحد الرهبان المقيمين بجواره وتتلمذ على يديه وظل في طاعته بضع سنين حتى أتقن الرهبانية كما يقولون.

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨.
(٢) دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٢٣.
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

وحين التف حوله كثير من الرهبان بنى لهم ديرا في (تابنيسى) - شمال فاو الحالية بمحافظة قنا - وكان ذلك هو أول دير يبنى للرهبان في مصر كلها، وقد أقامه بالاشتراك مع (بلامون) وكان ذلك حوالي عام ٢٣٠م [١]. وقد حرص باخوميوس على أن يدرب الرهبان على الحياة الديرية، وهى حياة قامت على الشركة في المسكن والمأكل والعمل والصلاة داخل مبنى أطلق عليه اسم دير.

ويذكر المسيحيون أن الحركة الديرية ازدهرت على يد باخوميوس حتى إنه أنشأ تسعة أديرة للرجال، وديرا واحدا للنساء، ولا يوجد أي دير من أديرته اليوم عامرا بالرهبان إلا أنه قيل إن دير المحرق العامر الآن هو أحد الأديرة التى أنشأها باخوميوس [٢].

يقول زكى شنودة: «**وبذلك يكون باخوميوس هو مؤسس الحياة الديرية وواضع نظم الحياة المشتركة للرهبان ولذلك يسمونه «أبو الشركة»**»[٣].

ثم يقول (وهو أول من جمع الرهبان داخل سور وجعل لهم رئيسا يطيعونه، وكانت قوانينه الخاصة بقبول الراهب في الدير وملابسه التى يرتديها والطريقة التى يعيش بها، والعمل الذي يتولاه، ونظام صومه، وصلاته هي الأصل الذي أخذت عنه جميع النظم الرهبانية في العالم إلى اليوم، وما زالت قوانين باخوميوس باقية حتى الآن باليونانية واللاتينية)[٤].

وقد مات باخوميوس في أواسط القرن الرابع الميلادي وبالتحديد في عام ٣٤٦م.

---

(١) تاريخ الأقباط جـ١ ص ٢٠٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٤، دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٢٦، قصة الحضارة مجلد ٤ جـ١ ص١٢٠.

(٣) تاريخ الأقباط جـ١ ص ٢٠٤.

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٥.

مقاريوس (أبو مقار الكبير)[١]:

يلي أنطونيوس في الشهرة في مجال الرهبان المتوحدين.

ولد مقاريوس في أوائل القرن الرابع في عام ٣٠١م ببلدة جحوير من أعمال منوف بالوجه البحري (وقيل إنه ولد بالصعيد من أبوين مسيحيين فقيرين)[٢].

وحين بلغ مبلغ الشباب زوجه أبوه إلا أن عروسه ما لبثت أن ماتت، ثم بعد قليل مات أبوه ولذلك ترك العالم وانفرد في كوخ وحده للتعبد، وكان قد بلغ من العمر ثلاثين عاما، ثم قصد أنطونيوس وتتلمذ على يديه مدة، وبعد ذلك اتجه إلى وادي النطرون حيث أقام هناك والتف حوله عدد من الرهبان المسيحيين، ولهذا بنى لهم الدير الذي كان معروفا بدير مكسيموس ودماديوس[٣]، ثم عرف بعد ذلك بدير البراموس ثم بنى بعد ذلك الدير المعروف الآن بدير أبي مقار[٤].

وقد توفى مقاريوس في أواخر القرن الرابع الميلادي، وكان قد جاوز التسعين من عمره، فأتى قوم من أهل بلدة (جحوير) وأخذوا جسده، ودفنوه في بلدهم، وبنوا عليه كنيسة، وقد ظل جسده هناك مائة وستين سنة - كما يقول زكى شنودة- ثم نقل إلى ديره المعروف بدير أبي مقار[٥].

* * *

(١) ويدعى أيضا (مقاريوس مصر) تمييزا له عن شخص آخر يدعي (مقاريوس الإسكندري) الذي كان يعيش أيضا أثناء القرن الرابع الميلادي. عن حياة كل منهما. راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١٥٢ - ١٥٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٢.

(٣) وهما ولدا (فالنتياس الأول) قيصر الغرب الذي تولى العرش سنة ٣٦٤م. اعتزلا العالم وتتلمذا على يد مقاريوس (المرجعة السابق ص ١٥٣).

(٤) تاريخ الأقباط جـ١ ص ٢٠٦.

(٥) المرجع السابق ص ٢٠٨.

بندكت [١]:

انتقلت الرهبانية من الشرق إلى الغرب على يد (إثناسيوس) وغيره في القرن الرابع الميلادي. ولكنها لم تتخذ شكلا منظما إلا على يد الراهب (بندكت).

ولد هذا الراهب عام ٤٨٠م في أسرة إيطالية لها مكانتها حيث كانت معروفة بالثراء والأرستقراطية.

تلقى دراسته الأولى في روما. غير أنه لم يلبث أن تركها وبدأ حياته الرهبانية.

ويرجع المؤرخون هذا إلى أنه استاء من شرور هذه المدينة وموبقاتها التى أثارت شعوره.

كتب مؤرخ سيرته (القديس جريجورى) يقول: «إنه احتقر في تلك المدينة الدراسات الأدبية فرحل عنها جاهلا بهذه الدراسات عن عمد» [٢].

ويقول د./ سعيد عبد الفتاح عاشور: «ولكنه ضاق ذرعا بما لمسه من مظاهر الفساد الخلقي وآثر الفرار إلى مكان جبلي منعزل حيث عاش في كهف بعيد معتمدا على ما يمده به المقربون من مأكل ولوازم ضرورية» [٣].

ويقال إنه ترك هذه المدينة لأنه أحب حبا فاشلا..

وبدأ بندكت حياته الانعزالية حيث عاش في كهف في «رواي سابين» على بعد خمسة أميال من «سوبياكو».

وبعد بقائه هناك بضعة سنوات هرع إليه الرهبان من الأماكن المجاورة،

---

(١) راجع: (تاريخ العالم) المجلد الرابع (الفصل الرابع والثمانون) ص ٢٩٧ وما بعدها، حبيب سعيد: تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) ص ١٧٩ - ١٨٢، د./ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٣- ٧٤، د./ سعيد عاشور: أوربا في العصور الوسطى جـ١ ص١٦٧- ١٦٩.

(٢) تاريخ العالم (المجلد الرابع) ص ٢٩٧.

(٣) أوربا في العصور الوسطى جـ١ ص ١٦٧.

وحين تجمع حوله عدد من المريدين، فكر في الانتقال إلى مكان بعيد عن روما، وذلك في سنة ٥٢٠م تقريبا، ولذلك أرسل بعض أتباعه للبحث عن موضع أكثر ملاءمة، وعاد هؤلاء ليخبروا (بندكت) بأنهم عثروا على مكان مناسب في منتصف الطريق بين روما ونابلي عند (مونت كاسينو) حيث يوجد معبد قديم للإله (أبولو) وما زال يتردد عليه بعض الفلاحين من المناطق المجاورة.

وهكذا أقام (بندكت) ديرا على أنقاض هذا المعبد، ووضع فيه أنظمته الديرية التى أصبحت هي الأساس لمعظم الأديرة الغربية.

وفي سنة ٥٤٣ م مات هذا الراهب، وبعد ست وأربعين سنة من هذا التاريخ أغار اللومبارديون على إيطاليا/ ففر الرهبان البندكتيون من جبل (كاسينو) إلى رومية يحملون معهم نظامهم وطريقتهم في الحياة.

هذا تعريف بأهم الشخصيات التي اشتهرت في مجال الرهبانية المسيحية.

* * *

أصل الرهبنة المسيحية

اختلف المؤرخون والباحثون حول أصل الرهبانية المسيحية.

ذهب فريق من المسيحيين إلى أن أصل الرهبانية المسيحية تعاليم المسيح عليه السلام. بينما ذهب فريق آخر - منهم بعض المسيحيين - إلى أن أصلها التعاليم الوثنية والأفكار الوضعية، تلك التعاليم الرهبانية والأفكار النسكية التى كانت لدى الأديان الوثنية المنتشرة قبل وأثناء ظهور المسيحية.

وسوف نتحدث أولا عن رأي المسيحيين وأدلتهم ثم نناقشها.

يدعي المسيحيون أن أصل الرهبانية المسيحية أخذت من حياة السيد المسيح وتعاليمه [١]، فلقد ادعوا أن الرهبان المسيحيين أخذوا فكرة هجر العالم والزهد في متاعه وأطماعه من قول المسيح للشاب الغني الذي تقدم إليه وطلب منه أن يدله على الطريق إلى الحياة الأبدية الطيبة - كما يقولون - فنصحه بقوله: (إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني)[٢].

وأيضا قول المسيح - كما جاء في أناجيلهم - لتلاميذه حين قال له بطرس: (ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا)، فأجابهم قائلا: (كل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية)[٣].

وادعوا أيضا أنهم تمثلوا بالمسيح في تقشفه، واختياره للفقر.

---

(١) راجع: يسوع المسيح ص ٣٥٦، تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٣- ١٩٤، دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٢- ٣.

(٢) متى ١٩: ٢١.

(٣) متى ١٩: ٢٧- ٢٩.

يقول زكي شنودة: «وأما الفقر الاختياري والتقشف الذي أخذ به النساك، إذ قسوا على ذواتهم، ونسوا مطالب حياتهم، وتعمدوا تعذيب أبدانهم بالجوع والعطش وخشن اللباس وضنك التفرد بعيدا عن الناس، فقد تمثلوا فيه كذلك بالسيد المسيح في زهده واحتماله الآلام»[١].

وادعوا أن فكرة اللجوء إلى الجبال والبراري نشأت عن أن المسيح كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلي أو يعلم الجموع[٢].

وادعوا أيضا أن الرهبان المسيحيين استمدوا مبدأ البتولية وعدم الزواج من أقوال المسيح المنسوبة إليه في أناجيلهم، وذلك حين جاء إليه الفريسيون يسألونه عن الطلاق، وهل يحل للرجل أن يطلق زوجته؟ فأجابهم: الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان، ثم قال: (وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني، والذي يتزوج بمطلقة يزني، قال له تلاميذه: أن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج، فقال لهم: ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم، لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل[٣].

ومن قول بولس أيضا: «وأما البتولية (العذارى) فليس عندي فيها وصية من الرب، ولكنني أعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا، أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة، لكنك وإن تزوجت لم تخطئ، وإن تزوجت العذراء لم تخطئ، ولكن لمثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد، وأما أنا فإني أشفق عليكم، فأقول هذا أيها الإخوة الوقت منذ الآن مقصر، لكي يكون الذين

(١) تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٩٥.
(٢) المرجع السابق ص ١٩٤، راجع أيضا: دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٣.
(٣) متى ١٩: ٣-١٢.

لهم نساء كأن ليس لهم، والذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون، والذين يشترون كأنهم لا يملكون، والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه، لأن هيئة هذا العالم تزول، فأريد أن تكونوا بلا هم، غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضى الرب، وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته، إن بين الزوجة والعذراء فرقا، غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسدا وروحا، وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم وكيف ترضي رجلها، هذا أقوله لخيركم ليس لكي ألقى عليكم وهقا بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك، ولكن إذا كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذراء إذا تجاوزت الوقت، وهكذا لزم أن يصير فليفعل ما يريد أنه لا يخطئ فليتزوجا، وأما من أقام راسخا في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراء فحسنا يفعل. إذًا من زوج فحسنا يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن»[(١)].

وهكذا يتضح لنا أن المسيحيين ينسبون أساس الرهبانية إلى المسيح ويدعون أن أصولها أخذت من حياة المسيح وتعاليمه التى جاءت في أناجيلهم.

وعند مناقشة رأي المسيحيين وأدلتهم نقول:

إن هذا الرأي فيه تجاوز شديد، فالقول بأن المسيح كانت من تعاليمه الدعوة إلى الرهبانية فيه مغالاة شديدة خاصة وأن الأناجيل المسيحية تنسب إلى المسيح أنه كان [(٢)] يحب اللهو والمرح والمتعة والصخب[(٣)]، وتنسب إليه أيضا أنه كان يستمتع بالطعام الجيد لدرجة أنه وصف بأنه أكول وشريب.

---

(١) رسالة كورنثوس الأولى ٧: ٢٥ - ٣٨.

(٢) راجع محمد مجدي مرجان: المسيح إنسان أم إله (الفصل الثاني) دار النهضة العربية.

(٣) نحن نجل المسيح من أن يفعل أفعالا شائنة ولكننا نورد ما جاء في أناجيلهم التى يستشهدون بفقراتها على التأكيد بأن المسيح دعى إلى الرهبانية، فنحن نأتي بهذه الأمور لنرد بها على المسيحيين لا أكثر ولا أقل، ومرة ثانية نقول نحن نؤمن بأن المسيح رسول من عند الله معصوم من الوقوع في الأخطاء والمعاصي ومعصوم من أن يفعل الكبائر بل والصغائر.

يقول متى: «جاء ابن الإنسان - المسيح - يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة»[١].

وأشارت الأناجيل المسيحية أيضا إلى أن المسيح كان يحضر الأفراح ويتطيب ويشارك الناس سعادتهم بل وفي بعض الأحيان - كما تروى الأناجيل - يشرب الخمر[٢].

يقول العقاد: «لقد قبل المسيح إنفاق الدنانير في عطر تمسح به قدماه، وقبل أن يشهد الأعراس، وضرب المثل لأتباعه في أفراح الحياة، وفي براءة كل فرح يأتي من القلب ويسر الجسد ولا يحزن الروح»[٣].

هذا وقد ذكر بعض المسيحيين أن الرهبانية لم تكن من تعاليم المسيح ولم يدع إليها.

يقول جون لوريمر: «من قراءة العهد الجديد يظهر لنا أن الزهد لم يكن تعليما أساسيا في المسيحية، وعلى العكس من يوحنا المعمدان جاء يسوع يأكل ويشرب فقيل عنه إنه أكول وشريب خمر»[٤].

هذا عن قولهم بأن الزهد وهجر العالم واللجوء إلى البراري مأخوذ من حياة المسيح وتعاليمه.

أما بالنسبة لادعائهم أنهم استمدوا مبدأ البتولية - أو التبتل وهو الانقطاع عن النساء والدنيا للعبادة كما سبق أن بينا - من المسيح فهو أيضا فيه نظر، ذلك أن الفقرات التى استشهدوا بها من الأناجيل على أنها أقوال المسيح ليس فيها ما يوجب ترك الزواج، وليراجعها القارئ مرة ثانية.

لذلك يقول المؤرخ المسيحي جون لوريمر - في تعليقه على الفقرات محل الاستشهاد لدى المسيحيين: «ومعنى كلام يسوع هو أن عدم الزواج مفضل

---

(١) متى ١١: ٩.
(٢) راجع يوحنا ٢: ١-١٠.
(٣) العقاد: حياة المسيح ص ١٣٨.
(٤) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٢.

لكنه ليس ضروريا».

وكذلك أيضا يفهم من أقوال بولس - التى هي محل الاستشهاد هنا: «أن الزواج حسن وأن عدم الزواج أحسن، من زوج فحسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن»[١].

هذا إلى جانب أنه قد ثبت أن رجال الكنيسة في عصرها الأول كانوا متزوجين [٢]، فقد جاء على لسان بولس نفسه نص يستفاد منه إباحة الزواج لرجال الدين.

يقول بولس: «ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وأخوة الرب وصفا - بطرس -»[٣].

وهكذا يتبين لنا أن القول بأن الدعوة الرهبانية أخذت من تعاليم المسيح فيه مجافاة للحقيقة وبعد عن الصواب.

يقول جون لوريمر: «الزهد مفضل ولكن ليس أمرا في العهد الجديد»[٤].

ويقول كامبنهاوزن في كتابه (الزهد في الكنيسة المسيحية الأولى):

«من يسوع لبولس كان هناك رفض متزايد لكل أشكال الزهد. . . ولم يؤمر به أو ينصح به كوسيلة للخلاص[٥]، وكان هذا هو الموقف الأساسي للكنيسة الأولى»[٦].

ولذلك ذهب فريق من المؤرخين المسيحيين وغيرهم إلى أن الرهبانية المسيحية استمدت من مصدر آخر غير تعاليم المسيح وحياته، وهو الأديان

---

(١) كورنثوس ٧: ٣٨.

(٢) أوربا في العصور الوسطى جـ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٣) كورنثوس ٩: ٥.

(٤) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٣.

(٥) والخلاص هو من أهم العقائد التى يقوم عليها الدين المسيحي (راجع رسالتنا للماجستير: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه).

(٦) نقلا عن تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٣.

الوضعية والفلسفات الوثنية التى كانت منتشرة قبل ظهور المسيحية، والتي كانت تعتقد بالتنسك والرهبانية.

يقول المؤرخ المسيحي أندرو ملر: «ويظهر أن الآباء قد فاتهم أن مبدأ الزهد نشأ عن الفلسفة الوثنية لا الديانة المسيحية، ولكنهم لم يتصفحوا الكتاب المقدس لمعرفة فكر الله في هذه الموضوعات»(١).

ويقول: «إن مبدأ عدم زواج الإكليرس - وهم رجال الدين - الذي تكون بعد ذلك الوقت وكل نظام التنسك والرهبنة لا يرجعان إلى كلمة الله بل إلى الفلسفة الشرقية» (٢).

وتقول المؤرخة المسيحية (بتشر): «إن المصريين المسيحيين بدءوا في اقتفاء آثار آبائهم الأولين في إدخال مبدأ الرهبنة في الديانة المسيحية»(٣).

ويقول ولز: «وكان طبيعيا كذلك للمسيحية أن تقتبس وهي لا تكاد تعي الطرائق العملية للديانات الشائعة في ذلك الزمان، فاتخذ قساوستها طريقة الرؤوس الحليقة والزى الخاص بالكهنة المصريين لأن ذلك كان يبدو الطريقة المثلي لتمييز القسس وتتابعت البدع واحدة إثر الأخرى»(٤).

وأشار إلى ذلك أيضا الجاحظ قائلا: «وأنت إذا سمعت كلامهم في العفو والصفح وذكرهم للسياحة، وزرايتهم على كل من أكل اللحمان، ورغبتهم في أكل الحبوب، وترك الحيوان، وتزهيدهم في النكاح، وتركهم لطلب الولد، ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان بترك النكاح وطلب النسل وتعظيمهم الرؤساء، علمت أن بين دينهم ودين الزندقة نسبا وأنهم يحنون إلى ذلك المذهب»(٥).

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة جـ١ ص ٣٢٧.
(٢) المرجع السابق جـ١ ص ٢٣٧. (٣) تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٥.
(٤) معالج تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص ٧٠٩.
(٥) الجاحظ: المختار في الرد على النصاري ص ٩٢، ٩٣، تحقيق د./ محمد عبد الله الشرقاوى، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م.

وهناك بعض الآراء التى تنسب الرهبانية المسيحية إلى ديانة وثنية واحدة بعينها فمن قائل أن أصلها هو من الديانات الهندية أو على الأقل من البوذية الهندية، ولكن كيف يكون ذلك والرهبانية المسيحية نشأت بمصر بعيدا عن بلاد الهند؟

والواقع أن نشأة الرهبانية المسيحية في مصر لا يحول بينها وبين تأثرها بالديانة البوذية، خاصة إذا علمنا أنه في عهد بطليموس فيلادلفوس عزم أشوكا (٢٧٣ - ٢٣٢ ق. م) إمبراطور الهند في ذلك الوقت أن ينشر التعاليم البوذية في بلاد العالم المعروفة آنذاك، وكانت مصر من بين بلاد البحر الأبيض المتوسط التي أرسل إليها أشوكا المبشرين[١] ويدل على هذا أن كليمان (١٥٠ - ٢١٨ م) وكريستو ستوم وآخرين من الكتاب المسيحيين الأول أشاروا إلى الهنود في الإسكندرية وتحدثوا عن عقائدهم [٢].

يقول رالف لنتون (وفي بداية العصر المسيحي وصل بعض أولئك المبشرين البوذيين إلى الإسكندرية، وبالرغم من أن تعاليم البوذية لم تترك إلا أثرا ضئيلا لأن فلسفتهم لم تستطع أن تتفوق على ما كان يوجد فيها من النظم والأساليب المتقنة للفلسفة اليونانية. إلا أنهم ربما كانوا السبب في ظهور كثير من أنواع النسك وتنظيم رهبان الأديرة التى امتازت به القرون المبكرة في تاريخ المسيحية في مصر) [٣].

ويقول د/ أحمد شلبي (والباحث في مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين في تصرفاتهم هذه اتبعوا المنهاج الهندي دون تحريف، فالترهب والتبتل وتعذيب الجسد هي سياسة البوذية وغيرها)[٤].

---

(١) راجع دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٢، الهند القديمة حضارتها ودياناتها ص ١٧٤.
(٢) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثاني ص ٤٧٠.
(٣) شجرة الحضارة جـ٣ ص ١٩٧.
(٤) د./ أحمد شلبي: المسيحية ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

وذهب البعض إلى أن أصل الرهبانية المسيحية هو من الجماعات اليهودية التى كانت تعيش في مصر وكان التنسك أهم مبادئها.

والبعض ربط بينها وبين التنسك المصري القديم.

وآخرون أشاروا إلى أن هناك علاقة قوية بين الرهبانية المسيحية والأفلاطونية الحديثة. يقول د/ عبد القادر أحمد اليوسف (والرهبنة في عصورها الأولى عبارة عن امتزاج بين التعاليم المسيحية والآراء الصوفية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة)[١].

وفي اعتقادي أن الرهبانية المسيحية بحكم نشأتها في مصر تأثرت بكل هذا، خاصة إذا علمنا أن الإسكندرية كانت مركزا هاما من مراكز العلم والثقافة والفلسفة في العصور الميلادية الأولى، وكانت التعاليم الفلسفية والمعتقدات الدينية شائعة ورائجة في الإسكندرية مما يسهل على المصريين التعرف عليها والاعتقاد بها إن لزم الأمر.

ويدل على هذا أيضا أن ظاهرة المزج والتوفيق - أو التأليف بين الآلهة والتعاليم الوثنية المختلفة كانت سائدة ومنتشرة في أرجاء العالم الوثني آنذاك وبخاصة في مراكز العلم والثقافة - الإسكندرية وأنطاكية ومقدونيا - في الفترة ما بين القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي.

(فمنذ عصر الإسكندر الأكبر كان هناك ميل مطرد إلى التوحيد بين مختلف الآلهة سواء الوطنية أو الأجنبية ويعرف هذا الاتجاه باسم حركة التوفيق العقائدي)[٢].

ويقول جورج سارتون (ذاعت نزعة الجمع الهلينية بين الناس ذيوعا جعلهم

---

(١) العصور الوسطى الأوربية ص ٧٢.

(٢) هـ. روز: الديانة اليونانية القديمة ص ١٤١ سلسلة الألف كتاب ترجمة رمزي جرجس دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥م.

لا يقتصرون على عبادة الآلهة الأجانب بل يعبدون أمشاجا منها [١] وذلك بعد التوفيق والمزج بينهما.

وقد استمرت حركة المزج هذه في عصر الإمبراطورية الرومانية حتى ليمكن أن يقال (إن العالم لم يشهد فترة امتزجت فيها الأديان القديمة كما حدث في ظل الإمبراطورية الرومانية[٢] ولذا وصف ذلك العصر بأنه عصر المزج الديني والفكري[٣]. ومن آثار هذا المزج وجدنا أديان وفلسفات جديدة.

والفلسفة الأفلاطونية والديانة المسيحية أبرز مثالين على سمة ذلك العصر فالأفلاطونية الحديثة كانت فيها - كما سبق أن بينا - مؤثرات دينية فارسية وبابلية، ومصرية، ويهودية، ومسيحية.

والمسيحية تأثرت بالأديان الهندية والمصرية والفارسية وبعض الفلسفات اليونانية [٤] ولهذا يمكن القول بأن الرهبانية المسيحية وليدة هذا التأثر بتلك الأديان والفلسفات الوثنية.

* * *

(١) جورج سارتون: تاريخ العلم جـ٤ ص٨ ط دار المعارف.

(٢) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٧٥.

(٣) د./ سيد أحمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ص ٢٤٤ دار النهضة العربية، وكان المزج بين الدين والفلسفة سمة هذا العصر (راجع: رابورت: مبادئ الفلسفة ص ١٠٩ ترجمة أحمد أمين).

(٤) راجع رسالتنا للدكتوراه (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية).

الفصل الثالث

موقف الإسلام من الرهبانية

الإسلام دين وسط جامع لحقوق الروح والجسد

يتألف الإنسان من جسد وروح كل منهما له متطلباته ورغباته وحاجاته.

الجسد له رغباته وشهواته.

والروح لها حقوقها

والجسد بحكم تكوينه من طين وطبيعته الطينية تكون رغباته منحصرة في دائرة الشهوات والغرائز، ولذلك نجد أن زاده هو الطعام والشراب وتحقيق الرغبات المادية.

والروح بحكم تكوينها النوراني تنحصر رغباتها في التدين والتعبد، ولذلك فزادها هو العبادة والطاعة والتفكر في ملكوت السماوات والأرض.

وكان من حكمة الله سبحانه أن خلق الإنسان على هذه الطبيعة لأنها تتفق مع الرسالة التي كلف القيام بها وهي الخلافة في الأرض.

«فهو بعنصره الطيني المادي - قادر على أن يسعى في الأرض ويعمرها ويحسنها ويكشف ما أودع الله فيها من كنوز ونعم، ويسخر قواها المتنوعة - بإذن الله - لمنفعته والنهوض بمهمته.

وهو بعنصره الروحي السماوي - مهيأ للتحليق في أفق أعلى والتطلع إلى عالم أرقى وإلى حياة هي خير وأبقى»[١].

وما دام الإنسان مؤلفا من الروح والجسد، والروح لها حق والجسد له حق فإن إهمال أي حق لا شك أنه سيكون على حساب الآخر.

فالزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل

---

(١) د/ يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام ص ١٢٨ ط ثانية مكتبة وهبة سنة ١٩٨١م.

من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شر مذموم.

إذًا لابد أن يكون هناك ما يسمى بالتوازن بين المادة والروح.

فهل استطاع الإنسان في ظل الأديان الوثنية والقوانين الوضعية أن يقوم بهذا التوازن؟

الواقع أن الإنسانية نزعت نزعتين مختلفتين متباعدتين حيث إنها تأرجحت بين التفريط والإفراط.

النزعة الأولى: الإفراط في حب الدنيا والتكالب عليها (النزعة المادية)

فلقد وجدت في التاريخ جماعات وأفراد تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادية يتطلعون للذة ويعيشون لها، كل همهم إشباع الجانب المادي في الإنسان، وعمارة الجانب المادي في الحياة دون التفات إلى الجوانب الأخرى.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام :٢٩]

﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية :٢٤]

يقول د/ يوسف القرضاوي (وهذه النزعة المغالية في المادة وفي قيمة الدنيا جديرة بأن تولد الترف والطغيان والتكالب على متاع الحياة، والغرور والاستكبار عند النعمة واليأس والقنوط عند الشدة.

نرى ذلك واضحا فيما قصة الله علينا من مصارع الأفراد والأقوام الذين عاشوا للدنيا وحدها ولم يلقوا للدين بالا ولا للآخرة حسابا ولا للروح مكانا[١].

هذا وقد قص الله علينا شأن كثير من المتكالبين الذين افتتنوا بالجانب المادي، وقطعوا صلتهم بالآخرة.

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٦.

فقص علينا شأن صاحب الجنتين الذي افتخر بهما على صاحبه، وهو نموذج للرجل المادي الذي تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه، وها هو ينظر إلى جنتيه فتمتلئ نفسه بها ويزدهيه النظر إليها فيحس بالزهو، وينتفش كالديك ويختال كالطاووس، ويتعالى على صاحبه الفقير منتفخا بثروته مختالا بجنته[1] قائلا:

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: ٣٤-٣٦]

فأرسل الله على جنته حسبانا من السماء فأصبحت صعيدا زلقا، وأصبح ماؤها غورا.

وقص علينا أمر قارون وهو نموذج آخر للاتجاه المادي والسيطرة المادية. فلقد أنعم الله عليه وآتاه مالا كثيرا - يصور كثرته بأنه كنوز، وبأن مفاتيح هذه الكنوز لتنوء بالعصبة أولى القوة[2] - فبغى على قومه واستطال، واغتر بماله وتعالى، وفرح به فرح الزهو المنبعث من الاعتزاز بالمال والاحتفال بالثراء، والتعلق بالكنوز، والابتهاج بالملك والاستحواذ، ولذا عزاه إلى نفسه وإلى علمه هذا المال وادعى أنه من محض سعيه، وأنه سيق إليه باستحقاق ذاتي فقال ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص :٧٨] .

إنه قول المغتر الذي افتتن بالمال، ولهذا دارت عليه الدائرة، وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى كان هو ودنياه في صحف القضاء العادل ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن المجلد الرابع ص ٢٢٧٠ ط دار الشروق.

(٢) المرجع السابق المجلد الخامس ص ٢٧١٠.

ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص :٨١] .

وقص علينا أمر فرعون الذي بغى على بني إسرائيل واستطال بجبروت الحكم والسلطان ونادى في قومه قائلا: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف :٥١-٥٦] .

وهناك أمم أخرى ذكرها القرآن الكريم شغلتها الحياة الدنيا، واغترت بما فيها من متع، واستغرقت في هذه المتع استغراقا، فانحرفت عن التعاليم الإلهية وغفلت عن آيات ربها.

«هذه الأمم أترفت في الحياة الدنيا فقتلها الترف ودمرها التحلل وحقت عليها كلمة العذاب وحرمت نصر الله وعونه»[1] .

يقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [المؤمنون :٦٤-٦٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء :١١-١٣] .

وهكذا يتبين لنا أن القرآن الكريم حذر من منهج التكالب المادي وجعل عاقبته خسران الدنيا والآخرة بالخزي والدمار والهلاك.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ص ١٢٧.

يبخسون ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦] .

وفي العصر الحديث اتجهت بعض المجتمعات لعبادة المادة، وعنيت بها عناية شديدة، وأنكرت الحياة الروحية وسخرت من التدين، وقامت على أساسها بعض النظريات الفكرية التى تنادي بأن المادة أصل لجميع الأشياء.

وقد ثبت فشل هذه النظريات علميا وتطبيقيا، وفشلت هذه المجتمعات حيث شاع فيها الفساد والانحراف، وكثرت فيها الجرائم والسرقات بل وشاع بينهم أيضا جرائم القتل والانتحار.

والجدير بالذكر أن هذا الاتجاه المادي هو سبيل لقتل المعاني الفاضلة، وهو طريق يدفع الإنسان إلى جوانب الطغيان المفسد للحياة.

النزعة الثانية: نزعة التبتل والرهبانية:

وفى الطرف المقابل للنزعة الأولى وأصحابها وجد آخرون من الأفراد والجماعات تركوا الحياة الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية، ونظروا إليها نظرة احتقار وعداوة، فحرموا على أنفسهم طيبات الدنيا وزينتها، وعطلوا قواهم عن عمارتها، والإسهام في تنميتها وترقيتها، واكتشاف ما أودع الله فيها.

هذا إلى جانب أنهم قاموا بتعذيب أجسادهم وإذلال أجسامهم - عرف ذلك كما سبق أن بينا - في الديانات الهندية والمصرية وبدا ذلك بوضوح وجلاء في نظام الرهبانية الذي ابتدعه النصارى [١].

وهؤلاء أيضا خرجوا عن جادة الاعتدال وجنوا على أنفسهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية.

والواقع أن هذا الاتجاه تأباه الفطرة الإنسانية ولا يوافقها إذ هو سبيل

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

لتعطيل وإهمال قوى التفكير والعمل المودعة في الإنسان وقوى الإنتاج المودعة في الكون.

بين هذه وتلك قام الإسلام الدين الوسط الجامع لحقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة.

وبين هاتين النزعتين المتطرفتين قام الإسلام يدعو إلى التوازن والاعتدال فصحح مفهوم الناس عن حقيقة الإنسان وعن حقيقة الحياة.

فالإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة يقوم كيانه على قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله ففيه عنصر أرضي يتمثل في جسمه الذي يطلب حظه مما خرج من الأرض من متاع وزينة، وفيه عنصر سماوي يتمثل في روحه التي تتطلع إلى هداها مما نزل من السماء[١].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الطبيعة في خلق الإنسان الأول آدم أبي البشر فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص :٧١-٧٢] .

وأشار أيضا إلى هذه الطبيعة نفسها في خلق ذرية آدم حيث قال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة :٧-٩] .

والإسلام دائما ينظم بأحكامه واقع الإنسان بما يقف به في الحد الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، والإنسان في واقعه جسم وروح، وللجسم حظ ومتعة وللروح حظ ومتعة، وكمال سعادته إنما تكون باستكمال حظي الجسم والروح معا [٢] ولذلك دعى الإسلام إلى الاهتمام بالروح والجسد على حد

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٨.

(٢) راجع الشيخ محمود شلتوت: منهج القرآن في بناء المجتمع ص ٣٢ كتاب الهلال سنة ١٩٨١م.

سواء من غير تضييع ولا تفريط ولا إفراط.

يقول العقاد: (فالروح والجسد في القرآن الكريم ملاك الذات الإنسانية تتم بهما الحياة ولا تنكر لأحدهما في سبيل الآخر، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس للجسد حقا ليوفي حقوق الروح، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقا ليوفى حقوق الجسد، ولا يحمد منه الإسراف في مرضاة هذا ولا مرضاة ذاك.. وعلى الله قصد السبيل)[١].

ومن أعظم ما أعطى الإسلام حق الإنسان في الحياة ونعيمها وفي تحقيق رغباته في الطعام والشراب والمرأة والمال، وقد منحه هذا الحق وأحاطه بضوابط هي لمصلحة الإنسان وكيانه وعقله وروحه [٢].

يقول العالم النمساوي محمد أسد - الذي اعتنق الإسلام وتسمي بهذا الاسم - «من بين سائر الأديان تجد الإسلام وحده يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته الدنيا إلى أقصى حد من غير أن يضيع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة»[٣].

ولذلك نجد أن القرآن الكريم يدعو إلى العمل للحياة والضرب في الأرض والمشي في مناكبها والأكل من طيباتها والاستمتاع بزينة الله التى أخرج لعباده فيها، وحثه على النظافة والتجمل والاعتدال، ونهاه عن المسكرات والمفترات وكل ما يضر تناوله وفاء بحظ جسده.

وبجوار هذا حثه على الاستعداد للآخرة والتزود ليوم الحساب وذلك بالإيمان وعبادة الله وحده وحسن الصلة به ودوام ذكره الذي تطمئن به القلوب، والتقرب إليه بأنواع الطاعات من صلاة وصيام، وصدقه، وزكاة، وحج، وعمرة، وذكر، ودعاء، وإنابة، وتوكل، وخوف، ورجاء، وبر وإحسان، وجهاد في سبيل الله، وغير ذلك من ألوان العبادة الظاهرة والباطنة

(١) العقاد: الإنسان في القرآن ص ٢٧ المكتبة العصرية - بيروت.

(٢) راجع: أنور الجندي: الإسلام والعالم المعاصر ص ٣١٤، دار الكتاب اللبناني.

(٣) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق ص ٢٨ ط الجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة.

وفاء بحق الروح[١].

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة :٨٧-٨٨] .

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة :١٦٨] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة :١٧٢] .

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف :٣١-٣٢] .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك :١٥] .

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة :١٠] .

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص :٧٧] .

يقول محمد أسد: «إن الإسلام ينظر إلى الحياة الدنيا بهدوء واحترام، إنه لا يعبد الحياة ولكنه ينظر إليها على أنها دار ممر في طريقنا إلى وجود أسمى، ولكن بما أنها «دار ممر»، ودار ممر ضرورية، فليس من حق الإنسان أن يحتقر حياته الدنيا ولا

---

(١) راجع تفصيل هذا في (الخصائص العامة للإسلام) ص ٧٤.

أن يبخسها شيئا من حقها»[١].

والرسول ﷺ كان يأكل من طيبات هذه الحياة ولا يحرمها على نفسه ولكنه لم يجعلها شغل نفسه ولا محور تفكيره [٢]، وكان من دعائه «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا»[٣]. وإنما كان يعطيها حقها وللآخرة حقها، وكان من دعائه: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياى التى فيها معاشي، وأصلح أي آخرتي التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»[٤].

لا رهبانية في الإسلام [٥]:

بين الله سبحانه وتعالى أن الذين يذكرونه فيدعونه على قسمين:

الأول: ») أن يكون دعاؤهم مقصورا على طلب الدنيا.

يقول سبحانه: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

(والخلاق) هو النصيب والحظ.

بين سبحانه أن هذا الفريق يطلب حظ الدنيا مطلقا ولم يقل إنه يطلب حسنة فيها لأن من كانت الدنيا كل همه لا يبالى أكانت شهواته وحظوظه حسنة إم سيئة، فهو يطلب الدنيا من كل باب. ويسلك إليها كل طريق، لا

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) راجع الخصائص العامة للإسلام ص ١٢٩.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الدعوات عن عبد الله بن عمر (باب حديث يتزل ربنا) ٥/٥٢٨، تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة في كتاب الذكر والدعاء (باب الأدعية ١٧/٤٠، صحيح مسلم بشرح النووى) الطبعة المصرية.

(٥) لفظ حديث قال عنه ابن حجر (أما حديث «لا رهبانية في الإسلام» فلم أراه بهذا اللفظ لكن في حديث سعد بن أبي وقاص عند الطبراني (أن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحاء) راجع: فتح البارى جـ٥ ص ١٣ ط دار الريان.

يميز بين نافع لغيره ولا ضار، فباستيلاء حب الدنيا عليه لم يكن للآخرة - وما أعده الله فيها للمتقين من الرضوان- موضع من نفسه يرجوه ويدعو الله فيه، كما أنه لا يخاف ما توعد الله به المجرمين فيلجأ إليه تعالى بأن يقيه شره فهو قد فضل حظوظ الدنيا الفانية على سعادة الآخرة الباقية [١].

أما القسم الثاني: - أو الفريق الثاني - فهم الذين يجمعون في الدعاء بين طلب الدنيا وطلب الآخرة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة :٢٠١] .

فهم يطلبون خيري الدنيا والآخرة لا حظوظ الدنيا وحدها كيفما كانت كالفريق الأول[٢].

وقد كانت في التقسيم قسم ثالث لم يذكره القرآن الكريم وهو من يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة.

يقول الشيخ محمود شلتوت: (إن هذا المسلك قد احتقره الله في كتابه، فلم يذكره لأحد من خلقه، وهو بصدد ذكر مسالك الناس في الحياة، وإنما قصر شأن الناس على مسلكين اثنين ليس هذا المسلك واحدا منهما).

تأمل قول الله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة :٢٠٠-٢٠١] .

مسلكان لا ثالث لهما: العزوف عن الآخرة، وجمع الدنيا مع الآخرة.

أما العزوف عن الدنيا وهو مسلك التبتل والانقطاع فلم يذكره الله في كتابه وليس أهلا لأن يذكره الله في كتابه.

نعم ذكره في مقام اللائمة لبعض طوائف النصارى التى ابتدعته ولم

---

(١) تفسير المنار جـ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠ ط الهيئة العامة للكتاب.

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص ١٩٠ راجع أيضا مفاتيح الغيب جـ٥ ص ٢٠٢.

يستطيعوا الوفاء بحقيقته، وكانوا كاذبين في تصوره والانحياز إليه [١].

والسبب في عدم ذكر القرآن الكريم للقسم الثالث ما يلي:

أولا: «لأن التقسيم لبيان ما عليه الناس في الواقع ونفس الأمر بحسب داعي الجبلة وتأثير التربية وهدى الدين، ولا يكاد يوجد في البشر من لا تتوجه نفسه إلى حسن الحال في الدنيا مهما يكن غالبا في العمل للآخرة، لأن الإحساس بالجوع والبرد والتعب يحمله كرها على التماس تخفيف ألم ذلك الإحساس. والشرع يكلفه ذلك بما يقدر عليه من أسبابه، وقد جعل عليه حقوقا لبدنه ولأهله وولده ولرحمه ولزائريه، وإخوانه، وأمته، ولا تصلح عبوديته إلا بدعاء الله تعالى فيها [٢].

يقول الشيخ رشيد رضا: (وفي الآية) (٣٣٨) إشعار بأن هذا الغلو مذموم خارج عن سنن الفطرة وصراط الدين معا، وما نهى الله أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وذمهم على التشدد فيه إلا عبرة لنا، وقد نهانا عنه نبينا ﷺ[٣].

ثانيا: ») لأن الإنسان لا يستطيع أن يستغني عن رحمة الله ومدده له في الدنيا والآخرة.

يقول الإمام الرازي: «اعلم أنه سبحانه لو سلط الألم على عرق واحد في البدن، أو على منبت شعرة واحدة لشوش الأمر على الإنسان، وصار بسببه محروما عن طاعة الله، وعن الاشتغال بذكره، فمن ذا الذي يستغني عن إمداد رحمة الله تعالى في أولاده عقباه، فثبت أن الاقتصار في الدعاء على طلب الآخرة غير جائز وفي الآية إشارة إليه حيث ذكر القسمين وأهمل القسم الثالث»[٤].

ويدل على هذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال له:

---

(١) يشير بهذا إلى قول الله تعالى: ﴿ ورهبانية ابتدعوها.... الآية ﴾ راجع منهج القرآن في بناء المجتمع ص ١٧، ١٨.

(٢) تفسير المنار جـ٢ ص ١٩١.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) مفاتيح الغيب جـ٥ ص ٢٠٣.

هل كنت تدعو الله بشيء؟ قال: نعم. كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله إنك لا تطيق ذلك ولا تستطيعه فهلا قلت: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة :٢٠١] ، قال: فدعا له رسول الله ﷺ فشفى»[١].

ولذلك أنكر الله سبحانه وتعالى الرهبانية من حيث ذاتها وفسق الكثير من رجالها وأشار إلى أن النصارى لم يأمروا بها ولكنهم ابتدعوها.

يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧] .

ورهبانية: ») منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر، أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، فهو من باب الاشتغال [٢] (رأفة ورحمة) لأن ما وضع في القلب لا يبتدع.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد :٢٧] أي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها كما تقول رأيت زيدا وعمرا أكرمته، ويكون معنى قوله: ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد :٢٧] أي ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها.

وقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد :٢٧] أي ما أمرناهم إلا بما يرضي

---

(١) أخرجه مسلم كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب (كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا).

(٢) واعترض على هذا بأنه يشترط فيه - كما قال البعض - أن يكون الاسم السابق مختصا يجوز وقوعه مبتدأ والمذكور نكره لا مسوغ لها من مسوغات الابتداء. ويرد عليه بأنه على فرض التسليم بهذا الشرط. الاسم هنا «رهبانية» موصوف معني بما يؤخذ من تنوين التعظيم كما قيل في قولهم: (شر أهر ذا ناب) راجع: تفسير الألوسي جـ٢٧ ص ١٩٠.

الله، قاله ابن مسلم.

وقال الزجاج: «ما كتبناها عليهم» معناه لم نكتب عليهم شيئا ألبتة ويكون (إلا ابتغاء رضوان الله) بدلا من الهاء والألف في (كتبناها) والمعنى ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله هو اتباع ما أمر به والالتزام بما شرع سبحانه وتعالى [١].

وهناك معنى آخر لهذه الآية أورده المفسرون وهو أن النصارى ابتدعوا الرهبانية وألزموا أنفسهم بها ابتغاء رضوان الله ولكنهم (ما رعوها حق رعايتها) أي ما حافظوا عليها حق المحافظة وما قاموا بما التزموه حق القيام وهذا ذم لهم من وجهين:

أحدهما: الابتداع في دين الله بما لم يأمر به الله.

ثانيهما: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله عز وجل[٢].

يقول الإمام الرازي: «أما قوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ [الحديد :٢٧] ففيه أقوال:

أحدها: أن هؤلاء الذين ابتدعوا هذه الرهبانية ما رعوها رعايتها بل ضموا إليها التثليث والاتحاد.

ثانيها: إن كثيرا منهم قاموا بأفعال الرهبنة لا ليتوصلوا بها إلى مرضاة الله بل من أجل طلب الدنيا والرياء والسمعة [٣].

ولذلك يقول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة :٣٤] .

---

(١) تفسير القرطبي جـ١٧ ص ٢٦٣، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي سنة ١٩٨٥- بيروت.

(٢) راجع: تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٣١٥.

(٣) راجع: مفاتيح الغيب جـ٢٩ ص ٢٤٧.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾ [الحديد :٢٧] أي هم الذين آمنوا بسيدنا محمد ﷺ ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد :١٦] أي الذين لم يؤمنوا به.

يقول الإمام الرازي: وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدا ﷺ فآمنوا به فهو قوله: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾ [الحديد :٢٧][١].

ويدل على هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الفاسقون».

وهذا المعنى هو المقصود من قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [المائدة :٨٢] .

يقول القرطبي: «وهذا المدح لمن آمن منهم بسيدنا محمد ﷺ دون من أصر على كفره، ولهذا قال: «وأنهم لا يستكبرون» أي عن الانقياد إلى الحق» وهذا هو الذي يدل عليه سياق الآيات ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [المائدة :٨٣-٨٦] .

هذا وقد نهى النبي ﷺ عن الرهبانية فقال:

«إني لم أؤمر بالرهبانية»[٢].

(١) المرجع السابق نفس الصفحة، راجع: أيضا تفسير القرطبى جـ١٧ ص ٢٦٣.

(٢) أخرجه الدارمي في كتاب النكاح عن سعد بن أبي وقاص (باب النهي عن التبتل) طبعة دار الريان، دار الكتاب العربي.

وقال: (إن الرهبانية لم تكتب علينا)[١].

وقال: (عليكم بالجهاد فإنه رهبانية أمتي)[٢].

وأخرج الطبراني عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحاء**».

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه، قال: فمر رجل بغار فيه شيء من الماء فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء، ويصيب ما حوله من البقل، ويتخلى عن الدنيا، قال: لو أنى أتيت إلى النبي ﷺ فذكرت له ذلك، فإن أذن لى فعلت وإلا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل، فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى عن الدنيا.

قال: فقال له النبي ﷺ:

«**إني لم أبعث باليهودية ولا النصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة**»[٣].

وعن عبد الله بن عمرو قال: «**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال**: يا رسول الله ائذن لي أن اختصي: فقال ﷺ إن خصاء أمتي الصيام والقيام»[٤].

وروى عن عثمان بن مظعون: أنه أتى الرسول ﷺ وقال: غلبني حديث النفس، عزمت على أن اختصي، فقال (مهلا يا عثمان إن خصاء أمتي الصيام)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٦ ص ٢٢٦ طبعة المكتب الإسلامي.
(٢) عزاه الهيثمى في (مجمع الزوائد) إلى الطبراني (كتاب النكاح) باب الحث على النكاح.
(٣) أخرجه الإمام أحمد جـ٥ ص ٢٦٦ ط المكتب الإسلامي.
(٤) أخرجه الإمام أحمد جـ٢ ص ١٧٣ ط المكتب الإسلامي.

قال: فإن نفسي تحدثني بالترهب. قال: «إن ترهب أمتي القعود في المساجد لانتظار الصلاة».

فقال: تحدثني نفسي بالسياحة. فقال: (سياحة أمتي الغزو والحج والعمرة).

فقال: «إن نفسي تحدثني أن أخرج مما أملك فقال: الأولى أن تكفي نفسك وعيالك بأن ترحم اليتيم والمسكين فتعطيه أفضل من ذلك».

فقال: إن نفسي تحدثني أن أطلق خولة فقال: «إن الهجرة في أمتي هجرة ما حرم الله».

قال: فإن نفسي تحدثني أن لا أغشاها قال: «إن المسلم إذا غشي أهله أو ما ملكت يمينه فإن لم يصب من وقعته تلك ولدا كان له وصيف في الجنة، وإن كان له ولد مات قبله أو بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة، وإن مات قبل أن يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيامة».

قال: فإن نفسي تحدثني أن لا آكل اللحم. قال: «مهلا إني آكل اللحم إذا وجدته ولو سألت الله أن يطعمنيه كل يوم فعل».

قال: فإن نفسي تحدثني أن لا أمس الطيب. قال: «مهلا فإن جبريل أمرني بالطيب غبا وقال: لا تتركه يوم الجمعة».

ثم قال: «يا عثمان لا ترغب عن سنتي فإن من رغب عن سنتي ومات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي».

وقد نما إلى رسول الله ﷺ أن هناك نزوعا من بعض الصحابة إلى الاتجاه إلى الوجهة الرهبانية بالإعراض عن الزواج مع القدرة عليه بدعوى التبتل لله والتفرغ للعبادة والترهب والانقطاع عن الدنيا.

فجمع ﷺ أصحابه وأعلن فيهم أن هذا انحراف عن شرع الله وإعراض عن سنة رسول الله ﷺ.

وقد روى المفسرون[1] في أسباب نزول قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة :٨٧] أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلي:

روي ابن أبي حاتم عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ قالوا نقطع مذاكيرنا، ونترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم فذكر لهم ذاك، فقالوا نعم. فقال النبي ﷺ: «لكنى أصوم وأفطر، وأصلي، وأنام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتي فهو منى ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني».

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبي قلابة قال: «أراد أناس من أصحاب رسول الله ﷺ أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء، ويترهبوا فقال رسول الله فغلظ فيهم المقالة. ثم قال: «إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع، فاعبدوا الله ولا تشركوا به، وحجوا، واعتمروا، واستقيموا يستقم بكم» وقال: ونزلت فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن السدى قال: «إن رسول الله ﷺ جلس يوما فذكر الناس، ثم قام ولم يزدهم على التخويف، فقال ناس من أصحاب رسول الله كانوا عشرة منهم عثمان بن مظعون: «ما حقنا إن لم نحدث عملا؟ فإن النصارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرم، فحرم بعضهم أكل اللحم والودك[2] وأن يأكل بالنهار، وحرم بعضهم النوم، وحرم بعضهم النساء، فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء وكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه، فأتت امرأته عائشة- وكان يقال لها الحولاء- فقالت لها عائشة ومن حولها من نساء النبي ﷺ: «ما

(١) راجع تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٨٧، القرطبي جـ٦ ص ٢٦٠، ٢٦١، راجع: أيضا ما نقله الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار جـ٧ ص ١٩.

(٢) الودك: الدسم، أو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه.

بالك يا حولاء متغيرة اللون لا تمتشطين ولا تتطيبين؟ فقالت: وكيف أتطيب وأمتشط وما وقع على زوجي ولا رفع عنى ثوبا منذ كذا وكذا. فجعلن يضحكن من كلامها، فدخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن. فقال: ما يضحككن؟ قالت- السيدة عائشة - يا رسول الله الحولاء سألتها عن أمرها فقالت: ما رفع عنى زوجي ثوبا منذ كذا وكذا فأرسل إليه فدعاه. فقال ما بالك يا عثمان؟ قال إني تركته لله لكي أتخلى للعبادة، وقص عليه أمره. وكان عثمان قد أراد أن يجب[1] نفسه. فقال رسول الله ﷺ أقسمت عليك إلا رجعت فواقعت أهلك. فقال يا رسول الله إني صائم. قال: أفطر، قال: فأفطر وأتى أهله. فرجعت الحولاء إلى عائشة وقد اكتحلت، وامتشطت، وتطيبت، فضحكت عائشة. فقال: ما بالك يا حولاء؟ فقالت إنه أتاها أمس. فقال رسول الله: ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم؟ ألا إني أنام وأقوم، وأفطر وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية. تقول لعثمان (لا تجب نفسك فإن هذا هو الاعتداء) وأمرهم أن يكفروا أيمانهم فقال (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم».

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: أراد رجال منهم عثمان بن مظعون، وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح فنزلت:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة :٨٧]

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عكرمة أن عثمان بن مظعون وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالما مولى أبي حذيفة وقدامة تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاء، وأجمعوا القيام بالليل، وصيام النهار، فنزلت:

---

(١) يقول ابن منظور: الجب: القطع، وجب خصاه جبا: استأصله، وخصي مجبوب بين الجباب، والمجبوب: الخصي الذي قد استؤصل ذكره وخصياه «لسان العرب ص ٥٣١ ط دار المعارف».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] ... الآية.

لما نزلت بعث إليهم رسول الله فقال لهم: «**إن لأنفسكم حقا، وإن لأعينكم حقا، وإن لأهلكم حقا، فصلوا، وناموا، وصوموا، وأفطروا، فليس منا من ترك سنتنا. فقالوا: اللهم صدقنا واتبعنا ما أنزلت مع الرسول**».

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «**جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ** يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم، وأفطر، وأصلى، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)]

وروى البخاري ومسلم أيضا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «**رد رسول الله ﷺ** على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»[(٢)].

وروى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ يا عبد الله: ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت بلي يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صم، وأفطر، وقم، ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله، قلت يا رسول الله إني أجد قوة قال: فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد، قلت: وما كان

---

(١) رواه البخاري في (كتاب النكاح) باب (الترغيب في النكاح)، ورواه مسلم في (كتاب النكاح) باب استحباب النكاح، واللفظ هنا للبخاري.

(٢) رواه البخاري (كتاب النكاح) (باب ما يكره من التبتل) ومسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح.

صيام نبي الله داود عليه السلام قال: نصف الدهر [١] أي يصوم يوما ويفطر يوما كما في رواية أخرى [٢].

يقول الإمام القرطبي: (قال علماؤنا رحمة الله عليهم في هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها رد على غلاة المتزهدين وعلى المتبتلين إذ كل فريق منهم قد عدل عن طريقه وحاد عن تحقيقه.

قال الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء - مما أحل الله لعباده المؤمنين - على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح إذا خاف على نفسه بإحلال ذلك بها بعض العنت والمشقة، لذلك رد النبي ﷺ التبتل على ابن مظعون، فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب عباده إليه، وعمل به رسول الله ﷺ، وسنه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون)[٣].

وذكر الطبرسي أن فيها دلالة على النهي عن الترهيب وترك النكاح[٤].

يتضح لنا مما سبق أن الإسلام دين لا يعرف الرهبانية، وإنما هو دين اعتقاد وعمل وعبادة، أباح للبشر الزينة والطيبات، وأرشدهم إلى إعطاء البدن حقه، والروح حقها، ودعا إلى الزواج ونهى عن التبتل والاختصاء.

الحكمة من تحريم الرهبانية:

بين الإسلام أن الاتجاه للتبتل والرهبانية بوجه عام معارض لطبيعة الإنسان والفطرة الإنسانية ففيه تعطيل لما كرم الله به الإنسان من قوى التفكير والإرادة والعمل.

يقول الإمام الطبري: «إن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها،

---

(١) رواه البخاري (كتاب الصيام) (باب حق الجسم في الصوم).
(٢) رواه البخاري (كتاب الصيام) (باب صوم الدهر).
(٣) تفسير القرطبى جـ ٦ ص ٢٦٢.
(٤) تفسير الألوسى جـ٧ ص ٩.

ولا شيء أضر للجسم من المطاعم الرديئة لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التى جعلها الله سببا إلى طاعته»[١].

ويقول القرطبى: «قال ابن عباس: أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن إسرافا[٢] أو مخيلة - أي كبرا - فأما ما تدعو الحاجة إليه وهو ما سد الجوع وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال في الصوم[٣] لأنه يضعف الجسد، ويميت النفس، ويضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع، ويدفعه العقل، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر ولا نصيب من زهد لأن ما حرمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف أكثر ثوابا وأعظم أجرا»[٤].

وهو أيضا يبقي أسرار الكون ومنافعه كامنة في أطباق الأرض وأجواء السماء، وقد سخرها الله جميعا للإنسان، وسلطه عليها، ومهد له طريق إظهارها، وعمارة الكون بها[٥].

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام يؤكد أن الطيبات نعم الله، والله سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يقبلوا نعمه ويستعملوها فيما أنعم بها لأجله، ويشكروا له ذلك، ويكره لهم أن يجنوا على الفطرة التى فطرهم عليها فيمنعوها حقوقها، وأن يجنوا على الشريعة التى شرعها لهم فيغلوا فيها بتحريم ما لم يحرمه، كما يكره لهم أن يفرطوا فيها باستباحة ما حرمه أو ترك ما فرضه، ولأجل هذه الحكمة لم يكتف بالنهي عن تحريم الطيبات حتى صرح بالأمر باستعمالها والتمتع بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا

---

(١) تفسير القرطبى جـ٧ ص ١٩١.

(٢) أشار إلى قوله الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا﴾ [الأعراف :٣١] .

(٣) إشارة إلى نهي الرسول ﷺ عن الوصال في الصوم (راجع: فتح الباري جـ٤ ص٢٤٢).

(٤) تفسير القرطبى جـ٧ ص ١٩١.

(٥) راجع: منهج القرآن في بناء المجتمع ص ١٧.

طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة :٨٧-٨٨] .

وقد بين تعالى غاية ذلك وحكمته التى أشرنا إليها بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة :١٧٢] .

والشكر يكون بالقول والعمل[1]

وهناك أمر آخر ذكره الإمام القرطبي في تفسيره نقلا عن «المهلب» وهو قوله: «إنما نهى النبي ﷺ عن التبتل والترهب من أجل أنه مكاثر بأمته الأمم يوم القيامة، وأنه في الدنيا مقاتل بهم طوائف الكفار، وفي آخر الزمان يقاتلون الدجال، فأراد النبي ﷺ أن يكثر النسل»[2].

وقد أورد الإمام الرازي حكما أربعا لتحريم الرهبانية وهى كما يلي:

الأولى: ») إن الرهبانية المفرطة والاحتراز التام عن الطيبات واللذات مما يوقع الضعف في الأعضاء الرئيسية التى هي القلب والدماغ، وإذا وقع الضعف فيها إختلت الفكرة وتشوش العقل، ولا شك أن أكمل السعادات وأعظم القربات إنما هو معرفة الله تعالى فإذا كانت الرهبانية مما يوقع الخلل في ذلك بالطريق الذي بيناه لا جرم أن يقع النهى عنها.

الثانية: ») إن إشغال النفس بطلب اللذات الحسية يمنعها عن الاستكمال بالسعادات العقلية. وهذا مسلم لكن في حق النفوس الضعيفة، أما النفوس المستعلية الكاملة فإنها لا يكون استعمالها في الأعمال الحسية مانعا لها عن الاستكمال بالسعادات العقلية، فإنا نشاهد النفوس قد تكون ضعيفة حيث إنها متى اشتغلت بمهم امتنع عليها الاشتغال بمهم آخر، وكلما كانت النفس أقوى كانت هذه الحالة أكمل، وإذا كان كذلك كانت الرهبانية دليلا على

(١) راجع: تفسير المنار جـ٦ ص ٢٤.

(٢) تفسير القرطبى جـ ٦ ص٢٦٢.

نوع من الضعف والقصور، وإنما الكمال في الوفاء بالجهتين.

الثالثة: ») إن من استوفى اللذات الحسية كان غرضه منها الاستعانة بها على استيفاء اللذات العقلية فإن رياضته ومجاهدته أتم من رياضة من أعرض عن اللذات الحسية لأن صرف حصة النفس إلى جانب الطاعة أشق وأشد من الإعراض عن حصة النفس بالكلية فكان الكمال في هذا أتم.

الرابعة: ») إن الرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل، وأما ترك الرهبانية مع المواظبة على المعرفة والمحبة والطاعة فإنه يفيد عمارة الدنيا والآخرة[(١)]

وبعـــد...

فهذا هو موقف الإسلام من الرهبانية.

وبالله التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

(١) مفاتيح الغيب جـ ١٢ ص ٧٥ - ٧٦.

المراجع

أ- مراجع إسلامية.

ب- مراجع مسيحية

ج- مراجع للأديان الأخرى والفلسفة.

د- مراجع تاريخية.

هـ - قواميس ومعاجم.

أ - مراجع إسلامية

- القرآن الكريم.

- السنة النبوية الشريفة.

- ابن حجر (الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م، القاهرة.

- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل): تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة العاشرة، دار الأنصار القاهرة.

- د./ أحمد شلبي: المسيحية (سلسلة مقارنة الأديان) مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة سنة ١٩٧٨م القاهرة.

- أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، الناشر مكتبة وهبة، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م القاهرة.

- د./ احمد على عجيبة: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (رسالة دكتوراه)، مخطوط بكلية أصول الدين بطنطا.

- د./ أحمد على عجيبة: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (رسالة ماجستير)، مخطوط بكلية أصول الدين بطنطا.

- الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مكتبة دار التراث، القاهرة.

- أنور الجندي: الإسلام والعالم المعاصر (العدد الأول من سلسلة الموسوعة الإسلامية العربية)، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م بيروت.

- د./ بركات عبد الفتاح دويدار: الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها، دار التراث العربي للطبع والنشر، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م، القاهرة.

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): المختار في الرد على النصارى (مع دراسة تحليلية تقويمية)، تحقيق ودراسة د./ محمد عبد الله الشرقاوي، الناشر دار الصحوة، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م، القاهرة.

- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، حقق الرواية: محمد الصادق قمحاوى، مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٧٢م، القاهرة.

- الشيخ / سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق الطبعة العاشرة سنة ١٩٨١م.

- عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن، ومنشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- عباس محمود العقاد: حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، دار الهلال، القاهرة.

- د./ عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس (السلسلة السادسة)، الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٦م، تونس.

- د./ فتحى محمد الزغبي: تأثر اليهودية بالأديان القديمة (رسالة دكتوراه) مخطوط بكلية أصول الدين بطنطا.

- د./ فتحى محمد الزغبي: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام، تقديم الأستاذ الدكتور/ بركات عبد الفتاح، مطابع غباشي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، القاهرة.

- الفخر الرازي (فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين): مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة١٩٨١م، بيروت.

- القرافي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس): الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تقديم وتحقيق وتعليق د./ بكر زكي عوض، كلية أصول الدين بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م، القاهرة.

- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي سنة ١٩٨٥م، بيروت.

- القرطبي: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، تحقيق د./ أحمد السقا، دار التراث العربي سنة ١٩٨٠م، القاهرة.

- كمال الدين (زعيم المبشرين السنيين بإنجلترا): ينابيع المسيحية، تعريب إسماعيل حنفي البارودي، الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩م، القاهرة.

- الإمام محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧م، القاهرة.

- محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق (الجماعة الإسلامية) بجامعة القاهرة، دار الاعتصام، القاهرة.

- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢م، القاهرة.

- محمد عزت الطهطاوي: النصرانية والإسلام، دار الأنصار، القاهرة.

- محمد مجدي مرجان (أحد المسيحيين الذين اهتدوا إلى الإسلام): المسيح إنسان أم إله، دار النهضة العربية، القاهرة.

- الشيخ/ محمد شلتوت: منهج القرآن في بناء المجتمع، دار الهلال، العدد (٣٧٠) سنة ١٩٨١ م، القاهرة.

- د./ يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام الطبعة الثانية، مكتبة وهبة سنة ١٩٨١م، القاهرة.

- د./ يوسف القرضاوي: الحلال والحرام في الإسلام، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر سنة ١٩٦٩م، بيروت.

* * *

ب - مراجع مسيحية

- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس سنة ١٩٨٠م، القاهرة.

- الكتاب المقدس، منشورات دار المشرق سنة ١٩٨٣م، بيروت.

- الإنجيل كتاب الحياة (ترجمة تفسيرية للعهد الجديد)، دار الثقافة المسيحية سنة ١٩٨٢م، القاهرة.

- آباء الكنيسة القبطية: بستان الرهبان القبطية، الطبعة الثانية، مراجعة لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسيا سنة ١٩٧٧م، القاهرة

- د./ إبراهيم سعيد (ومجموعة من الأساقفة): الدين المسيحي للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١م، وزارة التربية والتعليم، القاهرة.

- أندريه سكريما: أصول الحياة الروحية، ترجمه دير مار جرجس، الطبعة الثانية، منشورات النور.

- بطرس الجميل (ومجموعة من الأساقفة): كتاب السنكسار، الطبعة الثانية، مكتبة المحبة سنة ١٩٧٨م، القاهرة.

- بولس إلياس اليسوعي: يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م، بيروت.

- حبيب سعيد: فجر المسيحية (الجزء الأول من سلسلة تاريخ المسيحية)، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية سنة ١٩٧٨م، القاهرة.

- د./ حكيم أمين: دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣م، لم يذكر اسم الناشر.

- رؤوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة، القاهرة.

- سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة د./ حسن حنفي، مراجعة

د./فؤاد زكريا، دار الطليعة، الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م، بيروت.

- الأب متى المسكين: الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، دار مجلة مرقس، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م، القاهرة.

- الأب متى المسكين: لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م، القاهرة.

- يوسف الحداد: فلسفة المسيحية في رسائل بولس (جزءان)، سلسلة دراسات إنجيلية، لم يذكر اسم الناشر، سنة ١٩٦٨م.

* * *

جـ- مراجع الأديان الأخرى والفلسفة

- أتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، عرض وتعليق د./إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.

- د./ أحمد شلبي: اليهودية، الناشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٨م، القاهرة.

- أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة ومراجعة د./ عبد المنعم أبو بكر،د./ محمد أنور شكري، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة.

- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الأول) الفلسفة القديمة، ترجمة د./زكى نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨م، القاهرة.

- برتراند رسل: حكمة الغرب (الجزء الأول)، ترجمة د./ فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة العدد (٦٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- البيروني (أبو الريحان): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، طبعة دائرة المعارف العثمانية، مجيد آباد سنة ١٩٥٨م، الهند، عالم الكتب، بيروت.

- أ. و. توملين: فلاسفة الشرق، ترجمة عبد الحميد سليم، مراجعة على أدهم، دار المعارف سنة ١٩٨٠م، القاهرة.

- جورج سارتون: تاريخ العلم (ترجمة لفيف من العلماء)، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة.

- جوزيف كاير: حكمة الأديان الحية، ترجمة حسين الكيلاني، مراجعة محمود الملاح، دار مكتبة الحياة سنة ١٩٦٤م، بيروت.

- حامد عبد القادر: بوذا الأكبر (حياته وفلسفته) سلسلة قادة الفكر والشرق، رقم (٨١)، نهضة مصر سنة ١٩٥٧م، القاهرة.

- د./ حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧١م، القاهرة.

- حسين عمر حمادة: مخطوطات البحر الميت، دار منارات للنشر، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢م،الأردن، عمان.

- أ. س. رابويرت: مبادئ الفلسفة، ترجمة أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة سنة ١٩٧١ م، القاهرة.

- هـ. ج. روز: الديانة اليونانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، مراجعة د./ محمد سليم سالم، سلسلة الألف كتاب، دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥ م، القاهرة.

- ريكس وورنر: فلاسفة الإغريق، ترجمة عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م، القاهرة.

- سيرج سونيرون: كهان مصر القديمة، ترجمة زينب الكردي، مراجعة د./أحمد بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م، القاهرة.

- د./ على عبد الواحد وافي: الطوطمية (أشهر الديانات البدائية)، سلسلة اقرأ العدد (٩٤)، دار المعارف سنة ١٩٥٩م، القاهرة.

- د./على عبد الواحد وافي: غرائب النظم والتقاليد والعادات، دار نهضة مصر سنة ١٩٨٤ م القاهرة.

- د./ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود، دار نهضة مصر، الطبعة الثانية، القاهرة.

- د./ محمد إسماعيل الندوى: الهند القديمة حضارتها ودياناتها، دار الشعب سنة ١٩٧٠م، القاهرة.

- د./ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠م، القاهرة.

- همايول كبير: التراث الهندي، مجلس الهند للروابط الثقافية.

- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية (السلسلة الفلسفية)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة السادسة سنة ١٩٧٦م، القاهرة.

د - مراجعة تاريخية

- د./ إبراهيم أحمد العدوي: المجتمع الأوربي في العصور الوسطى، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي سنة ١٩٨٠م، القاهرة.

- إدريس بل: الهلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ترجمة زكي على، مكتبة الدراسات التاريخية، دار المعارف سنة ١٩٥٩م، القاهرة.

- أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة من البداية إلى القرن العشرين (جزءان في مجلدين)، مكتبة كنيسة الأخوة سنة ١٩٧١م، القاهرة.

- إيفار ليسنر: الماضي الحي (حضارة تمتد سبعة آلاف سنة)ـ ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، مراجعة د./ محمد أبو المحاسن عصفور، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨١م، القاهرة.

- أ. ل. بتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها (الجزء الأول) تعريب إسكندر تاضروس، مطبعة مصر سنة ١٩٠٠م، القاهرة.

- بيريل سمالي: المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة د./ قاسم عبده قاسم، الطبعة الثانية، دار المعارف سنة ١٩٧٤م، القاهرة.

- د./ جوزيف نسيم يوسف: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، مؤسسة شباب الإسكندرية سنة ١٩٨٣م، القاهرة.

- جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (صدر منه جزءان) الجزء الأول: الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م، والجزء الثاني سنة ١٩٨٥م، دار الثقافة المسيحية.

- حسن بيرنيا: تاريخ إيران القديمة من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة د./ محمد نور الدين عبد المنعم، د./ السباعي محمد السباعي، مراجعة د./يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٩ م، القاهرة.

- دونالد ددلى: حضارة روما، ترجمة جميل يواقيم الذهبي، فاروق فريد،

مراجعة صقر خفاجة، مركز كتب الشرق الأوسط سنة ١٩٦٣م.

- د./ رأفت عبد الحميد: ملامح الشخصية المصرية في العصر المسيحي (تقديم: الأنبا غريغورس)، كتاب روزال يوسف سنة ١٩٧٣م، القاهرة.

- رالف لنتون: شجرة الحضارة (قصة الإنسان منذ فجر التاريخ حتى بداية العصر الحديث)، الجزء الثالث، ترجمة د./ أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦١م، القاهرة.

- رولاند بينتون: مواقف من تاريخ الكنيسة، ترجمة عبد النور ميخائيل، الطبعة الثانية، دار الثقافة المسيحية سنة ١٩٧٨م، القاهرة.

- زكي شنودة: تاريخ الأقباط (الجزء الأول)، جمعية التوفيق القبطي، لجنة التاريخ والنشر، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢م.

- د./ سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا في العصور الوسطى (جزءان)، الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة سنة ١٩٧٥م، القاهرة.

- د./ سيد أحمد على الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة المصرية سنة ١٩٧٥م، القاهرة.

- د./ عبد القادر أحمد اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة ١٩٦٦م.

- د./ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت سنة ١٩٧٦م.

- هـ. أ. ل. فشر: تاريخ أوربا العصور الوسطى (القسم الأول)، ترجمة محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، الطبعة السادسة، دار المعارف سنة ١٩٧٦م، القاهرة.

- ج. ج. كولوتن: عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة د./ جوزيف نسيم يوسف، الطبعة الثانية، دار المعارف سنة ١٩٦٧م، القاهرة.

- ج.ج. كولتون: الديرية أسبابها ونتائجها (الفصل الرابع والثمانون) من كتاب تاريخ العلم، (المجلد الرابع)، ترجم هذا الفصل د./جمال الدين الشيال، وراجعه د./ حسين مؤنس، نشرة السير جون أ. هامرتن، مكتبة النهضة المصرية.

- د./ مصطفى العبادي: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٥م، القاهرة.

- القس منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، القاهرة.

- ج. م. هس: العالم البيزنطي، ترجمة د./ رأفت عبد الحميد، الطبعة الأولى، مكتبة سعيد رأفت سنة ١٩٧٦م، القاهرة.

- ول ديورانت: الشرق الأدنى (الجزء الثاني من المجلد الأول) من (قصة الحضارة)، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والنشر.

- ول ديورانت: الهند وجيرانها (الجزء الثالث) من المجلد الأول من (قصة الحضارة)، ترجمة د./ زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨م، القاهرة.

- ول ديورانت: قيصر والمسيح (الجزء الثالث من المجلد الثالث) من (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣م.

- ول ديورانت: عصر الإيمان (الجزء الأول من المجلد الرابع) من (قصة الحضارة)، ترجمة محمد بدران.

- هـ.ج. ولز: تاريخ الإغريق والرومان (المجلد الثاني) من (معالم تاريخ الإنسانية)، ترجمة عبد العزيز جاويد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩م.

- هـ.ج.ولز: المسيحية والإسلام والعصور الوسطى (المجلد الثالث) من (معالم تاريخ الإنسانية).

- يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ترجمة مرقص داود، مكتبة المحبة، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م، القاهرة.

* * *

هـ - قواميس ومعاجم

- ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار المعارف.

- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٤م، القاهرة.

- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، سنة ١٩٧٩م، القاهرة.

- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م، القاهرة.

- نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدس، منشورات المشعل، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية، في الشرق الأوسط، الطبعة السادسة ١٩٨١م، بيروت.

- هيئة اليونسكو: معجم العلوم الاجتماعية، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م، القاهرة.

* * *

فهرس

فهرس الموضوعات

* * *